نجوم ..صغيرة

قصص قصيرة جداً

الدكتور أحمد زياد محبك

نجوم...صغيرة

قصص قصيرة جداً

٢٠٠٨

موافقة وزارة الإعلام
رقم ٥٠٨٤ تاريخ ٩/٢/ ٢٠٠٨

الطبعة الأولى حلب ٢٠٠٨

كتبت هذه المجموعة عام ٢٠٠٥

تصميم الغلاف
المهندسة نورة محبك

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة الأصيل حلب

ملحمة القرن الحادي والعشرين

هوميروس هذا العصر يكتب ملحمة القرن الحادي والعشرين بالقصة القصيرة جدًّا

أنا... والتفاحـــــة

لها أن تأكل تفاحها كما تشاء، ولي أن آكلها أنا كما أشتهي.

بلطف أمسك بها من غمازتيها، بالإبهام والسبابة، أرفعها إلى أعلى بهدوء، مثل أيقونة مقدسة، أتأمل تألقها مثل الشمس، مثل حقل حنطة، مثل ذهب مشع، مثل شعر أشقر منسدل على نهد، أدنيها من فمي، وأنا أشم شذاها الناعش، ألثمها، وأنا أحار كيف أقضمها؟ شفاهي تتلمس تألقها الزاهي، تزقزق قشرتها تحت أسناني، تنحل عصارتها في لساني، كالرضاب، تنسل من زاوية فمي، وهي تذوب، كقطرة ندى، أمضغ طراوتها، كأنها عهد الشباب، موسيقا وألحان تذوب، عزف كمان، فضاءات وأبهاء قصور، حقول خيول تسبح في الشمس والخضرة، جموح لا يحد، والشفاه تنطبق على الشهد كي لا يذوب، من أين أتى هذا العبق؟ أي سحاب سقاه؟ أي جذر مدّ فيه هذا النغم؟ العالم كله في هذه الاستدارة الناعمة، هي صغيرة تحملها اليد، تحتويها الأصابع، تلفُّها من كل الجهات، تنعم بملمسها الرطب، هي أكبر من الأهرام، أعظم من الهيملايا، كأنها نهد تنام ويدك عليه، تحس أنك تملك العالم كله، مثل طفل، هنا الغذاء والدفء والحنان والنبض، وتقضمها، تمنحك ذاتها طرية، بحنان، حتى في قشرها الود، كل

الود، وفي السويداء حبات البقاء، بها تتحدى الفناء، لا يمكن أن تتخلى عنها، فلتكن كلها في الأعماق، لعلها تمد هناك الجذور، تثمر عمراً أخضر، وتبقى البقية في اليد، تحملها بلطف، كيف تتخلى عنها؟ وعلى الأنامل نداها والشذى، والنسغ يجري في القلب؟ .

وأنت أمامي، تغرسين الشوكة، يسيل الشهد، وبالسكين، تشطرين القلب.

لك أن تتناولي تفاحك كما تشائين.

هدية صاحب المقصف

المطر يسح على الزجاج إلى جانبي غزيراً، والبرق يومض وأنت أمامي، والمائدة بيننا، ومزهرية رقيقة شفافة تحمل قرنفلتين بيضاء وحمراء، وأنت تقرئين لي قصيدة، ألمها من أطراف أناملك، تنسرب عبر مساماتي، تسري في العروق، تصب في الفؤاد، ترتعش لها الأطراف، هل ألتقطها من العينين؟ هل ألمها من الشفتين؟ أمد يدي إلى فنجان القهوة، أحمله، أضم عليه الأصابع، أرفعه إلى فمي، أرتشف منه الإيقاع، الكلمات تطير إليَّ فراشات، عيناك تعزفان أمواجاً من نغم، وينفجر الرعد، يسح المطر على الزجاج، واللغط في المقصف يعلو، يثور الضجيج، وتصخب الموسيقا، تنهض الصبايا، ينهض الشباب، تلتقي الصدور بالصدور، وتدق الأرض الأقدام، وأنت أمامي، السهرة كلها لنا، ونحن وحدنا معاً، وأشجار الحديقة تتلألأ تحت المطر، يغسلها، يرويها، يغرقها حتى الجذور، الصخب والشباب والكؤوس والتبغ والخمور والطيش والفجور، الصفاء والنقاء والطهر، لا أعرف أين يبدأ هذا؟ أين ينتهي ذاك؟ في أناملك وعينيك وصوتك، في كلماتك كل الأشياء، ألمس الجسد المقدس على أجنحة الكلمات، أتغلغل فيما بين النهدين، وعلى همسات الأنامل وهي تنثر الشعر،

أرقى سماوات، أعانق النور، أحل في الأكوان، تذوب الأبواب والجدران فلا مقصف ولا تبغ ولا سكارى، المنضدة فيما بيننا يخفق فيها نبضي، تحمل جسدي إليك، نذوب معاً، لست أدري في فنجاني هذا أم في ذاك الفنجان؟ المطر يغسلنا معاً، يسح علينا من وراء الزجاج، والبرق يكشف ألق العينين، وصوتك يغرد للكون، والسكارى من حولنا يصخبون، صبية ترقص أمام شاب، تعري له النهدين، وأنا أرى روحك تصفو تشف ترق، لك تحت المطر تورق الأغصان، يثمر الآن العنب والتين، ينجلي الربيع، إليك تأتي أسراب السنونو، تأتي كل سحابات الصيف، والمطر وحده يهطل في داخلي، يصعقني البرق، أكاد ألمس أنملك، والموسيقا تنداح، فنجان القهوة في يدي عصفور يطير إليك، يحط على كتفك، ينقر في عنقك، ينقر في شعرك، ثم يعود إليَّ، هل لمست الشتاء في عروقي؟ أنا مبتل حتى النخاع، ما أحوجني إلى صخب المقصف كله، هناك على المائدة يلتهمون الشواء ويحتسون الخمرة وينفثون دخان التبغ الفاغم ويثرثرون ويضجون ويصخبون، والفنجان أمامي نام، ونامت القهوة، أنا تكفيني عيناك.

النادل يتقدم منا، أول دخولنا حمل لنا مزهرية رقيقة شفافة بيضاء، حطها على المنضدة فيما بيننا، وضع فيها هاتين القرنفلتين، ماذا يريد منا الآن، هل أشرت أنا إليه؟ أنا لم أشر إليه، على المنضدة يضع

أمامنا طبق شواء، بصوته الأجش العريض ، كأنه ليس هو، كأنه قط أسود، يموء:

ـ أنا آسف، أول دخولكم قدمت لكما هاتين القرنفلتين، ولكن أنا الآن أقدم لكما هذا الطبق من لحم، وشواء، لن تدفعا ثمنه، هو هدية من صاحب المقصف، لا بدَّ أن تأكلاه، وهذا خمر معتق، لا بد أن تشرباه.

من أخبره أنني أشتهي هذا كله، وأتمناه.

الدخول إلى القصيدة

أدخل إلى القصيدة من باب الفاء، أخترق الأشياء، تحتويني العتمة، أبتل بالميم، أرتوي من صخب الإيقاع، أستشف الغموض، تناديني أبجدية الصمت، أبحر في ظلال لا أشكال لها، ، تشدني إلى غياب مفتوح، أدخل في الثنائيات، أحاور كل الأشكال، موت هو أم ولادة، لا تكفي الحروف، أقبض على الهواء، أمتلئ به، أمنحه حس الأشياء، يفلت مني، أتلمس شذى الجذور، تذوب النار في الكف، أرتوي من نار الأنداء، تسيل النجوم في الكلمات، وينهلّ القمر في النغم، وتمشي المجرات بين السطور، أستلقي في حضن الباء، تتجمع الحركات تتلاقى تتفتح كوردة الصباح، تولد أنثى هي الأم هي عشتار هي حواء، أنهض كالألف، ألتمس الجنة عند القدمين، ليس هنا بدء، ليس ثمة انتهاء، ليس ثمة رجوع أو ابتداء، لا بد من قراءة جديدة، عبر تاريخ مكتوب، أحداثه لم تقع، لا مسرح فيه ولا أبطال، طفل أنا، لم أبصر بعد، أشم حفيف الثوب، أتحسس دفء الثدي، تملأ فمي القصيدة، أشرق بدفق العبق، أمضي بهدوء مثل النعاس إلى النوم، أود لو أستيقظ لأتعلم موقع الهمزة، أشكال الباء والياء، لعلي أكرر الإيقاع، ليولد نغم جديد.

الداخل و... الخـــــارج

سرت بي رعشة كالياسمين، غصت في غمرة من وهج، ما عدت أحس بالأشياء، دارت بي الجدران، وغام الوجود، كيف لي أن ألتقط الثمر؟ هل أتسلق الأغصان؟ هل أقتل كل النسور؟ لا يكفي أن أصغي؟ وأنا أحس بالنسغ يتغلغل من قاع الأرض عبر الجذور إلى الثمر، أحس بالأوراق وهي تتنفس، تمتص كل الهواء.

ما كنت أدري أني سأنجذب إلى هذه الفتنة، ما كنت أتوقع أن يسحرني هذا النشيد، أعود طفلاً كأني لا أعرف الأشياء، بين الكلمة والكلمة كأني في رحم، كأني في قبر جديد، أنا معلق أمامك، بين الموت والولادة. صوتك ري وسحابة، صوتك من وراء الآفاق آفاق، كل سفني مبحرة إلى خليجك، فلتمطري، أو فلتثوري ولتغرقيني، لست أدري، وأنا القبطان، هل ألقيت أم هل رفعت، مرساتي.

مثل عريشة العنب ظللتني، الشعر يتساقط من أناملها كالعناقيد، أثمل به، وحدي، أسكر، عيناها ترشان عليَّ الشذى، تنثران النغم، نهداها يطيران إليَّ أنا كعصفورين، الثغر النديان قصيدة أخرى، والقصيدة بوح لي أنا ونداء.

في الباب، ونحن نطل في الخارج على زحام الباعة والمشترين واللغط القاتل، ونحن نودع الوحدة المقدسة

والصلاة العلوية والحياة الطاهرة في الداخل، ألتفت، كالكون كله، كالأزمان، هي بقربي، أهمس :

. مؤلم أن نغادر إلى الخارج؟

تهمس:

. يكفي أن يبقى في داخلنا الداخل.

كيف سنلتقي؟

أمام غرفة الهاتف على الرصيف أقف أنتظر.

كيف سألتقيك؟ لا أعرف؟ قد نلتقي في حديقة أو مقصف أو شارع أو مقهى أو مشفى أو على الرصيف، قد نلتقي صبحاً أو مساء أو عصراً، قد نلتقي تحت شمس تموز أو أمطار أيلول أو ثلج كانون، ولكن كيف سنلتقي؟ هل سيكون في العيون ذلك الشوق القديم؟ هل سيكون في الأنامل ذلك الدفء الحنون؟ هل ستخفق القلوب وترتعش الشفاه؟ هل ستنام يدك في يدي طويلاً كما كانت من قبل تنام؟ هل سنسير معاً على الرصيف لا نبالي العيون؟ هل ستطلبين في المقصف كما كنت تفعلين قهوة مرة ؟ هل سيشع عبق عطرك الأليف؟ أم هل أقلعت عنه؟

جاء دوري، أتقدم من غرفة الهاتف، عند الباب أقف هنيهة.

ليس لدي موهبة حفظ الأرقام، ولكن رقم هاتفك حفظته، فور نطقك إياه، لم يكن معي ورقة ولا قلم، ساعة التقيتك مصادفة على الرصيف.

الرقم مع القلب يخفق، ما نسيته. عشر سنين مرت، ما التقيتك فيها، رقم هاتفك القديم تغير، رقم هاتفي القديم تغير، أخشى أن نكون قد تغيرنا.

أترك غرفة الهاتف، وأمضي في اتجاه آخر.

كأس حليب ...مثلج

النادل يضع أمامي كاساً من حليب مثلج.

الكأس من زجاج رقيق جداً، ناعم جداً، شفاف، مدور، مكور، فوق عنق ناعم جداً، يكاد من النظرة ينكسر، تحمله قاعدة صغيرة رقيقة هادئة، الكأس مفعمة بحليب أبيض، مكور، كنصف قبة، حليب مجمد، ولكنه لدن، كالموسيقا، تعلو القبة البيضاء وفي الوسط كرزة حمراء.

سهوب عذراء، تغطيها ثلوج بيضاء، نقية البياض، لا أثر فيها لقدم، تتقافز فوقها غزالة كالشمس، في إثرها يعدو نمر ولهان، رشيق الخطو، قوي الصدر، حاد البصر، قلبه يخفق، عيناه عنها لا تتحولان، لا بد من النوال، تقفز، يرمي نفسه تحتها، بفمه اللاهب يمسك جيدها الأتلع، يهصرها، يرميها، ينقلب فوقها، يحيطها بيده، تهدأ حركتها، وعلى الثلج الأبيض النقي البياض تساقط قطرات دم حمراء.

النادل يضع أمامها فنجان قهوة.

هذه هي عادتك، أعرفها، تفضلين دائماً القهوة المرة السوداء، ولكن لماذا ارتديت اليوم قميصك الأبيض الرقيق الشفاف كالزجاج؟

لا أعرف كيف سأغوص في الحليب اللدن؟ كيف سألتقط حبة الكرز الحمراء؟

كلمة واحـــــــــدة

في هـذا الشـارع، في الشـتاء الماضـي سـرنا معـاً، وحيـدين، الجـو عاصـف، والبرد شـديد، والشـجر أجـرد، وكـل شـيء كئيـب، يـدانا متعانقتـان، كفـك في كفـي، وأنـت قـربي، لصـقي، الكـون كلـه لنـا، والأفـق واسـع رحيب، والحياة دافئة.

اليوم، كل شيء مختلف، النسمات الصيفية رطبة ناعمة، تنعش الشبان والصبايا، وهـم يملؤون الرصيف، المثلجات في أيديهم، أذرعهم العارية تتعانق، حول القمر وهو بدر هالة من ضياء، والسماء رائقة صافية، وعلى الأسوار والأدراج وعلى الرصيف تهمي زهرات الياسمين، الجو ساطع بالعبق، همسات العشاق تسطع كالشذى تحت الأشجار الظليلة، ضحكاتهم في الشرفات الخافتة الأضواء تفضحهم كالأضواء الباهرة، أما أنا فمحشور في علبة سردين، جدران سميكة تخنقني، لا أكاد أتنفس، صوتي من غير صوت، لا أعرف: هل أنا حقاً هو أنا؟ وأنت: هل أنت حقاً أنت؟ أنت بقربي، أنت تسيرين، وأنا أسير، نحن نسير صامتين، متجاورين، أيدينا تضرب في الهواء، ظلي يبتعد عنك حيناً، وحيناً أنت تبتعدين، الكـون كلـه غـدا حفـرة ضـيقة معتمـة، رجلـي تكـاد لا تسير، أوشك أن أسقط، كأنني وقعت في كمين.

كنـا مشـتاقين كثـيراً للخـروج معـاً، ولكـن كلمـة واحـدة، لسـت أدري مـن نطـق بهـا، أنـا أو أنـت، كلمـة واحـدة أو كلمتـين، جعلـت الأرض ضـيقة جـداً، وإذا الأفق مسدود.

هـل مـن كلمـة أخـرى أهمـس بهـا؟ أو لعلـك بهـا تهمسين؟.

اللقـــــــــــاء الأخيـر

وراء الباب، فور دخولي، ألقت بجسدها كله على جسدي.

شقائق النعمان، مدت أعناقها واستطالت، تفتحت منها الثغور، تدفق الغمام سخياً، انسكبت الأمطار، جرفت السيول الهضاب وغمرت الوديان واقتلعت كل الأشجار، لم يبق من جدار ولا سور، تحطم كل شيء وانهار.

الباب وراءنا لم يكد يغلق، قلت لها، فقالت: لا تخش، فالكون كله لنا، كل الأماكن، كل الأزمان، لن نفترق، ولو فني كل العشاق.

كشمس تموز دخلت من كل النوافذ والأبواب، شعت، أضاءت ملأت الجدران، تغلغلت في الزوايا والأركان، أحرقت الستائر وأوقعت كل اللوحات، رسمت ظلالاً طويلة وقصيرة للمزهريات والأواني، تدفقت موسيقا، سكبت كل العطور. نشرت الأطيار أجنحتها في الأفاق، رشت على الكون أنغامها، وفي الأعماق دبت النمال تأكل كل مخزونها، فلا شتاء بعد اليوم.

في لقاء آخر، قالت: أرجوك، حافظ على المزهريات والأواني، أخشى الشظايا وانسكاب العطور.

أزاهير الربيع ما تزال يانعة، الشتاء جد بعيد، والصيف أيضاً بعيد، لكنها في لقاء تالٍ قالت: أعتذر إليك، لنكتف بعطر الذكرى، أرجو أن يكون هذا آخر لقاء.

الصمت أمام البحـــــــــر

الموج الغاضب الصاخب المنتصب كالطود ينصب
على لسـان الشـط الممتـد فيـه، تشـربه حبيبـات الرمـل

الملساء الناعمة اللينة كمسامات جسد لدن، تشربه من ظمأ ولا ترتوي، ويرجع إليها الموج في دفقات، فتمتصه، تهدأ سورة البحر، يفتر قليلاً، ينام على الرمل الظامئ، ولكن سرعان ما ينهض ثانية فينتصب ليصب رغوه وزبده وغضبه كله في دفقات كدفقات النور، كانهمار المطر، كتوالي الأقمار وهي تدور، تنسرب حبيبات الرمل الناعمة في البحر، تنحل في الموج، تذوب فيه ، تبتل به، تمازجه، يحضنها الموج، يحملها ثانية بلطف إلى الأرض، وهو يغطيها، يمتد فيها، وتلفحه ريح الشوق، فيهيج وينهض ليخترق خليجاً منحنياً كالخصر، يملؤه بزبده وعنفه ومده، لسان الأرض يمتد من جهة في عمق البحر يشرب منه، وموج البحر يدخل في الخليج من جهة فيستقر فيه ويطمئن، يحس بدفء الخليج وسكونه، ينعم فيه، وتسبح الأسماك الصغيرة في الخليج، ترف بأذيالها وزعانفها الملونة، وتتهادى الزوارق الصغيرة بالعشاق الصغار وهم يجذفون من أجل حبيباتهم، يشدون أمامهن عضلات الأذرع، يبرزون لهن الصدور، وهن يسرحن العيون النواعس فوق الموج، وفوق الصواري الآيبة تحلق النوارس، وعلى لسان الأرض الممتد في البحر يقف الصيادون العجائز يرمون صناراتهم، ينتظرون بقايا الحظ الذابل، والموج العاتي يغمر أقدامهم، وعلى الرمل تخرج السرطانات الشقراء الصغيرة لترقص في الشمس، وتسترخي القواقع البيضاء على الرمل لتغرد ناعمة بالبلل الجميل، لكن الموج لا يمهلها وسرعان ما يجذبها إليه.

البحر ينجذب إلى الأرض، الأرض تنساق إليه، تشرب موجه، وترمي إليه بالرمل والسرطانات الصغيرة وزوارق العشاق، ويعود فيغمرها ثانية بموجه الدافئ ويعيد إليها الرمل الناعم المغسول، وتنمو في قاعه الطحالب ويسطع عبقه ويعلو هسيسه وهو يعود إليها في موج يمتد ويمتد، وهي تحتضنه دائماً في هدوئه وغضبه لا تمل منه، لا ترتوي، والموج دائم، والعناق مستمر.

ماذا نقف أنا وأنت أمام البحر صامتين؟

رحيل..... آخر

وعدت بعد عمر من الاغتراب.

الشارع هو الشارع والعمارات هي العمارات والهضبة هي الهضبة نفسها، أطل منها على مدينتي الحبيبة، أطل منها على مدينتي القاسية. هنا وقفنا ساعات وساعات، قل لي: أهواك، وأنا لك مدى

الحياة، أنتظرك إلى آخر العمر، وقلت لها وقالت، تعانقت منا الأكف، أقسمت بالأقمار بالنجوم، بالبيوت العتيقة بالأشجار، بالأرصفة بالطرقات، لو زالت كلها، لو زلزلت، فأنا لن أزول. شذى أناملها كان زادي في غربتي، يا طالما التفت في الشوارع الغريبة في المدن الغريبة، لأرى ظلها إلى جواري، همس خطواتها يا طالما رن في خيالي.

ها قد عدت، وها قد طال الانتظار، ثمة في الغربة هناك انتظار، وهنا في الموطن انتظار، أين أنت؟ الشوارع هي الشوارع والأشجار هي الأشجار، والعشاق يملؤون كل ركن كل فضاء، تتعانق منهم الأيدي، وأسمعهم أمامي يقسمون بالأنجم بالأقمار، لم يتغير شيء، في الغربة كنت هناك معي، ما غبت عني، وهنا في الوطن لا ألقاك.

هل أعود إلى الغربة لألقاك؟

قارئـــــــــــة

أهبط على الدرج وحدي، الطبيب سلبني الكليتين والكبد والطحال، المقهى سلَّ مني الأعصاب ومسح تلافيف الدماغ، أبواق السيارات سدت الأذنين، غبار الرصيف ملأ العينين، أتلفت حولي، الزحام شديد، ولكن لا أرى أحداً، لا من أبنائي العشرين ولا من بناتي الثلاثين ولا من أصدقائي المئين، الزحام شديد، ولا أحد

من أولاد الحي، أو أبناء العشيرة أو زملاء العمل أو رفاق الدرب.

عند إشارة المرور أقف، لا يمكن أن تضمن سلامة العبور، حتى لو كانت الإشارة خضراء للمشاة.

ألتفت، هي على يميني، مثلي تحاول العبور.

. قصتك المنشورة في جريدة اليوم رائعة.

عادت الأشياء كلها إلى مواضعها، كما يستعيد الحاسوب المواد من سلة المحذوفات إلى مواضعها، انجلت العيون، شدت الأعصاب، امتلأت بملايين الإشارات والرسائل، تلقاها الدماغ، تعمقت فيه التلافيف، زادت ملايين المرات، صبت في الأذنين أنغام من آفاق بعيدة.

فلنعبر معاً.

غصن ...ناحـــل

غصن رقيق صغير ناحل، متعلق بشجيرة ورد، يربطه بها لحاء رقيق، يغذوه بالنسغ، كطفل متعلق بثدي أم تقعد على الرصيف تمد يداً إلى أرجل المارة تتوسل إليهم. هل يربطه إلى شجيرة الورد، ويلفه بضمادة؟ العاصفة كانت قد ضربته، ولكنها لم تقطعه، مشى ولم

يلتفت، خلَّف الغصن وراءه مرمياً على الأرض، هو الذي أجهز عليه.

يعرف ...كل شيء

وحده من وراء مكتبه الفخم يتكلم، والقوم أمامه يهزون رؤوسهم مؤكدين موافقين يرددون ما يقول ذاهلين. هذا خائن وذاك كذاب والثالث منافق والرابع مرتش والخامس لص والسادس والسابع والثامن، لا يخاف ولا يهاب ولا يتردد، يذكر الأسماء والأرقام

والبضائع والحاجات والأسواق، يعرف كل شيء. هو إذن وحده الطيب النقي البريء الشريف.
ولكن كيف عرف كل أولئك؟

قد يرن جرس الهاتف

لن أنام، سأبقى إلى جوار الهاتف، لعلها تتصل.
إلى الثانية بعد منتصف الليل، بل إلى الثانية والنصف، ونحن معاً، هي إلى المائدة قبالتي، تناولنا العشاء معاً في مطعم الفندق، شربنا القهوة، شربنا الشاي، طلبنا كأسي عصير، مرة أو مرتين مست أناملي

أناملها وأنا أهم بتناول الكأس، مرة من تحت المائدة مست قدمي قدمها، هي أيضاً مست بقدمها قدمي، لم يعتذر أحد منا للآخر، ابتسامة ناعمة ارتسمت على الشفاه، الأمر مقصود أو غير مقصود، لا أحد منا فكر في ذلك، انتقلنا إلى طرف المائدة، قعدنا متجاورين، تحدثنا عن بيكاسو وبابلو نيرودا وأبي العلاء المعري وجمال عبد الناصر وقناة السويس وعن جوليا روبرتس ومحمد عبد الوهاب وأبي الطيب المتنبي، تحدثنا عن الفيديو كليب والأغنية الهابطة والأهرامات ونجيب محفوظ.

. هل ستنام؟

هكذا سألتني، والنعاس اللذيذ يثقل جفنيها، لم أجب، أضافت:

. أنا الليلة لن أنام.

جمع الخدم كل الأطباق والصحون، رفعوا ملاءات الموائد، قلبوا الكراسي فوق المناضد، كنسوا الأرض، مسحوها، أطفؤوا معظم الأضواء، لم يبقوا إلا على القليل منها، ضمنا المصعد معاً، وددنا لو لم نصل إلى الطابق التاسع، في البهو وقفنا هنيهة، لم يودع أحدنا الآخر، لم تلتق أيدينا في مصافحة، لم ننطق بشيء، توجهت إلى غرفتها، وتوجهت إلى غرفتي.

لم أنم، لن أنام، قد يرن جرس الهاتف، لعلها تتصل بي، هل أتصل أنا بها؟

علــى الرمــال

علـى الرمـال، بجـوار مـوج البحـر يبـني مـن الرمـل قصـراً، يصـنع جنـداً، يشـكل وجهـاً، يشـبه كـل الطغـاة والقتلة والظالمين، الوجه ينهض، يعلو يكبر، أقدام الجند توشك أن تتحرك، أسرع إليه أقول له: " أرجوك، انظر

ماذا تفعل، سوف يدمر هؤلاء العالم " ، يبتسم، بهدوء الواثق يقول: " انتظر، ما هي إلا برهة حتى ترى"، وأقف أنتظر، موجات تقترب تدنو من أقدام الجند، تتفتت، تذوب، ما إن يحاول أحدهم النهوض حتى تمحو الموجة قدميه، فيذوب، ولكن الوجه القاتم العبوس الطاغي يقوى، يكاد يتحرك، أحس بفمه يكاد يتكلم، كأنه يصدر أمراً، أرى عينيه تقولان شيئاً، وتأتي موجة أخرى، تقترب منه ولكنها سرعان ما تنحسر، ماذا أفعل؟ يوشك أن ينهض، بل...

وتأتي موجات أخرى، عالية متتابعة، تنقض.

يذوب كل شيء في البحر.

موسيقا

العجوز يحضن عوده، كأنه حفيده، يحنو عليه، يلصق صدره به، أصابعه الناحلة المعروقة تداعب الأوتار، كأنه يمسح شعر حفيده، والنقرات تتابع، كأنها قطرات دمع تنساب من عينيه الحمراوين، ومن جفونه المثقلة بالنعاس والمرض والحزن، هو غارق في النغم.

والخـدم يتنقلـون بـين الموائـد، يحملـون الأطبـاق والصـحون والكـؤوس مـن فـوق الـرؤوس بخفـة ورشـاقة، الأسـنان تقضـقض وهـي تقضـم، والأفكـاك تجعجـع في الآذان وهـي تمضـغ، والكـؤوس تقـرع، والملاعـق في الصحون تقعقع، هـذا ينـادي النـادل، وذاك يصيح بـه، وثالـث يغمغـم، ورابـع يقهقـه، صـخب ولغـط وضـجيج وقعقعة تصنع موسيقا من نوع آخر.

العجوز ما يزال يرسل قطرات النغم.

صديق ..عزيز

فور دخولي المقهى نهض، ترك صحبه، أسرع إليَّ، عـانقني، ثم دعـاني إلى الانضـمام إلى صـحبه، وجمعتنـا المنضدة، أخذ يقدمني إلى صحبه:

ـ صـديق عزيـز، رفيـق العمـر، أخ كـريم، مـن أفضل من عرفت، علماً وخلقاً وأدباً، أفديه بالروح، ولا أتخلى عنه، هو أغلى من كل إخوتي، لأنه أخ حقيقي.

وشاركت صحبه الحديث، وبعد هنيهة دخل المقهى رجل وجهه مألوف بالنسبة إلي، وإن كنت لا أعرفه، نهض صديقي إليه على الفور، تركنا ومضى نحوه، ثم رجع به وهو بتأبط ذراعه، تماماً كما فعل معي، وبصوت ثابت النبرة، يشبه صوت الدليل في متحف، أخذ يقول:

ـ صديق عزيز، رفيق العمر، أخ كريم، من أفضل من عرفت، علماً وخلقاً وأدباً، أفديه بالروح، ولا أتخلى عنه، هو أغلى من كل إخوتي، لأنه أخ حقيقي.

لســت أنا

أدخل المديرية، أرقى الدرج، أسمع صوته من الطابق الثاني وهو يرحب بي، أصل إليه، يعانقني، يطبع قبلة على هذه الوجنة، وقبلة على الأخرى، وثالثة على الوجنة الأولى، يضمني إلى صدره، يشبك أصابعه بأصابعي، يمضي بي عبر البهو، يدعوني إلى مكتبه كي يقدم لي فنجان قهوة، أقول له: " سأمر بالأستاذ محمود في مكتبه، لي عنده معاملة " يقول: " سأطلبه بالهاتف،

سيحضر لك المعاملة بنفسه إلى مكتبي"، أرد: " هو صديقي، ليس من اللائق دعوته إلى مكتبك ليحضر لي المعاملة، سأمر بك بعد أخذ المعاملة "، يقول لي: " رأيتك من النافذة الخلفية متجهاً نحو المديرية، فخرجت لاستقبالك، لي عندك رجاء حار؟ " .

أذهل لهذا الاستقبال الحافل، كثيراً ما كنت أراه مصادفة في بهو المديرية، كان يمر بي كأنه لا يراني، يدخل إلى مكتبه من غير أن يلتفت، ممسوح الوجه، مثل حجر أملس، ونظارتاه السوداوان السميكتان تشف عن عينين صغيرتين جداً كالفأر، وشعره الأسود اللامع الناعم ينسدل على جبينه، مثل علامة حزن، وجهه لم تتغير ملامحه على الرغم من حفاوة الاستقبال؟ ما سر هذا اللقاء ؟

أقول له: " تفضل ماذا تريد؟ "، يتكلم بلطف وقد مال برأسه كاليتيم: " ابن أخي تقدم بطلب للتعيين عندكم في فرع المديرية، وتمت تسميتك عضواً في لجنة فحص المقابلة، كل ما أرجوه هو أن تزكيه، أبوه عاجز، وهو المعيل الوحيد لأسرته"، أرد:" أنا؟ "، يقاطعني: " أعرف لم يصلك بعد قرار تشكيل اللجنة، أنا اطلعت عليه هنا في المديرية، عند المدير العام، غداً يصلك، واللجنة تتألف من مدير الفرع ومعاونه، حضرتك، ومن رئيس الدائرة " أسأله: "هل قرأت أنت بنفسك اسم معاون المدير؟ "، يرد بثقة: " نعم، الأستاذ أحمد محمد محمود الأحمد الحمد الحميد الحامد الحمدان الحمداني "،

أقول له: " ولكن أنا اسمي أحمد محمد فقط"، يرد بعفوية: " لكنك تشبهه كثيراً ".

يتركني ويمضي إلى مكتبه، ملامح وجهه هي نفسها لم تتغير، أضحك في داخلي، إذن لست أنا المقصود بذاك الجفاء، ولا هذا الاستقبال.

الكلام نفســـــه

أدخل غرفة رئيس القسم لأهنئه بتسلمه منصبه الجديد، أجد عنده أعز أصدقائي، يقول له بصوت ناعم لا يكاد يسمع كأنه صوت فتاة خجول: " أهنئك من أعماق قلبي، أبارك لك صادقاً، مؤكداً لك التهنئة والمباركة، اعتبرني منذ الآن واحداً من أخلص جنودك، يسرني أن أقدم لك كل ما تريد من خدمات، أنا..."،

في هذا المكان نفسه قبل عامين قال لي الكلام نفسه يوم تسلمت المنصب نفسه.

وتنطلق الحافلة

وتنطلق الحافلة، أفتح الكتاب الذي اشتريته منذ قليل، أسنده إلى حافة المقعد أمامي، وآخذ في القراءة. بعد هنيهة، تمتد من أمام يد أنثوية ناعمة، مطلية الأنامل بأحمر قان، لتزيح الكتاب عن مسند المقعد، ويأتيني صوت فيه تذمر، أدهش، أرفع الكتاب، أسأل رجلاً إلى جواري: " ما المشكلة ؟"، يجيبني: " منذ نصف ساعة

أو أكثر وأنت تزعج الآنسة أمامك بتقليب صفحات الكتاب".

جلد رقيق نـــــــاعم

تصعد إلى الحافلة، بقميص زهري مشدود على الصدر، وشعر أشقر مرسل على الكتفين، أتزحزح قليلاً في مقعدي نحو النافذة، أدير الطرف عنها، أصطنع عدم الاهتمام، كأني لا أراها، وأنا أتمنى أن تقعد إلى جواري.

وتحط بجانبي مثل حمامة، وتنطلق الحافلة، أتمنى لو تنعطف بسرعة، أو لو تمر بحفرة، الخديوي إسماعيل

عندما شق الطريق إلى الهرم، أوصى المهندس أن يجعل فيه منعطفاً حاد الميل، كي تميل عليه ملكة إنكلترة لدى زيارتها الأهرامات، ولم لا تميل عليَّ هذه الحسناء.

بهدوءٍ أتزحزح نحو اليمين، أقترب بلطف شديد منها، وأنا أنظر إلى النافذة عن يساري، وتنعطف الحافلة، أقترب بهدوءٍ أكثر، كأنني نملة تزحف على صخرة ملساء، أريد لكل شيء أن يبدو عفوياً وطبيعياً، ويصل إلينا المفتش، أنتظر حتى تعرض هي عليه تذكرتها أولاً، وأميل قليلاً نحوها، وأمد يدي بتذكرتي، ولكن هذا كله لا ينفع.

لا بد إذن من الاقتحام، أدفع برجلي اليمنى نحوها، ولكن بهدوء، أمس جلداً ناعماً رقيقاً، أحس بالغبطة، أتزحزح قليلاً نحوها، فخذي يمس الجلد الناعم، رقيق هو جداً وأملس، أضغط بفخذي، ينضغط الجلد، أحس بطراوة، أحس بانضغاط عذب، كأني أضغط على مفاتيح بيان، وتنساب الموسيقا، وتنعطف الحافلة، وأضغط أكثر فأكثر، والجلد الناعم الرقيق العذب يستجيب، فينضغط ويرق ويلين، لا تستاء ولا تتذمر، تلتفت إلى الطرف الآخر، لا شك أنها تصطنع هذا الالتفات حتى لا يحس أحد في الحافلة بما يجري، كما ألتفت أنا إلى النافذة، وأبعد عنها كتفي، لا أريد أن يلتصق بكتفها، حتى لا يشعر بنا أحد، وأستمر في الضغط، وأنا هانئ باللين والنعومة والرقة، يتوهج دمي،

ترتفع حرارتي، تشتعل عروقي، لكن، لا أكاد أحس بدفء جسدها، هل رجلها مشلولة؟

ألتفت بهدوء ناعم، وبطرف عيني أنظر نظرة خاطفة.

بيني وبينها حقيبة يد جلدية.

المعطـــــــف

في كل مرة تناول فنجان القهوة لولدها من وراء الباب، يقدمه هو بنفسه لأستاذه، في كل شهر يناوله سامح تعويض الساعات التدريسية بنفسه، ويقول له:"هذه من أمي، وهي تشكرك".

هذه المرة دخلت هي بنفسها، تحمل إليه القهوة، قالت لسامح:

ـ يمكنك الآن الذهاب إلى النادي، انتهى درسك.

وانطلق سامح مثل عصفور فرّ من قفص.

أدرك على الفور أنهما في البيت وحدهما.

جلست في موضع ابنها، على طرف الطاولة، إلى جواره، ودفتر ولدها وقلمه أمامها، ناولته فنجان القهوة بأنامل راعشة، أمسكت بالقلم، أخذت ترسم خطوطاً على دفتر سامح، بعد هنيهة صمت رفعت رأسها وسألت:

. كيف ترى سامح؟

هو جميل كأمه، ذكي مثلها، يحبني كثيراً ويرتاح إليَّ، مثل أمه. هكذا ود أن يقول، ولكنه لم يقل شيئاً.

ردت شعرها المنسدل على كتفها بحركة ناعمة، وقالت:

. هو يحبك كثيراً ويرتاح إليك، هو معجب بك وبدروسك، أنت أفضل أستاذ مرَّ به في حياته.

أخذ رشفة من فنجانه، التفت إليها، أعاد الفنجان إلى موضعه، أطرق صامتاً.

عينان كقصيدة، موسيقا وخمر وجنون، الصوت هامس كزورق يدعوه لركوب البحر.

قدرت سبب صمته، أضافت بهدوء:

. أرجو قبول دعوتي لك اليوم إلى الغداء.

هو أستاذ، هي أم، سامح مثل ولده. هل نسيت أجرة دروس الشهر؟ الديون عليه متراكمة، أولاده ينتظرونه.

ينهض، يتكلم بهدوء، وهو يسدل جفنيه في انكسار حزين:

. أعتذر.

يدها في يده، تودعه، تنظر في عينيه، وتسرع إلى الداخل وهي تقول:

. انتظر لحظة أرجوك.

يقف مذهولاً، لا يعرف ما يفعل، تتأخر، تناديه من الداخل:

. أنا هنا تفضل أريدك في شيء.

يتردد، يمضي إلى الداخل، على السرير معطف شتوي سميك، تهمس له:

ـ هذا معطف زوجي، أحضره من باريس، صدقني لم يلبسه ساعة واحدة، اختطفه الموت قبل مجيء الشتاء، قررت أن أحتفظ به طوال عمري، ولكن يسرني أن أراك وأنت تلبسه، أتمنى أن تقبله مني أنا، أرجو ألا تسيء فهمي.

ويخرج لا يحمل شيئاً، حتى أجرة الدروس نسي أن يسألها عنها.

في الفنـــــــدق

في اليـوم الأول تعرفـت إلى نزيلـة الغرفـة ٤١٥، وعلى مائدة العشاء لمحت إلى رغباتي الجسدية، فعبرت بصراحة عن تعلقها بالعواطف والمشاعر وعشقها للروح، في اليـوم التـالي تعرفـت إلى نزيلـة الغرفـة ٥٢٢، وعلـى مائدة الغداء بحت لها صراحة بمشاعري وعواطفي وسموي الروحي، فأكدت لي أن الجسد وحده هو كل شيء، في اليوم الثالث تعرفت إلى نزيلة الغرفة ٦١٠ حدثتها عن الأمـلاك والعقـارات والسـيارات والرصـيد في المصـرف،

فعبرت عن عشقها للشعر والأدب، في اليوم الرابع تعرفت إلى نزيلة الغرفة ٧٣٠ وحدثتها عن الشعر والقصة والفن، فضحكت وقالت: لا معنى لهذا كله؟ في الصباح تناولت طعام الإفطار مع نزيلة الغرفة المجاورة لغرفتي، لم أحدثها عن شيء، تركتها هي تتحدث، قررت أن أكون كما تشاء هي، وقبل أن تكمل فطورها نهضت وهي تنظر إلى ساعتها، ثم قالت:

ـ أرجو أن تعذرني، طائرتي ستقلع بعد نصف ساعة.

كبـــــر الأولاد

في السوق سألت ولدي مجد ليلة العيد بعد أن اشتريت له الثياب الجديدة، ماذا تريد أيضاً، وهو ابن السابعة، فأجاب على الفور:

. حمالة مفاتيح أعلقها في حزامي مثلك يا بابا.

والتفتت زوجتي إلى ابنتنا الصغرى ذكرى، وهي في العاشرة، تسألها ماذا تريد أيضاً، فأجابت على الفور:

. حقيبة جلدية أحملها في كتفي مثلك يا ماما.

وألتفت إلى زوجتي أسألها ماذا سنشتري نحن لأنفسنا، فتجيب:

ـ كبر الأولاد، لم يبق لدينا ما نتسلى به، سنشتري دُمَى صغيرة.

في المكتبة

دخلتْ إلى المكتبة، قالت للبائع:

. أريد كتباً منوعة.

ـ عندي كتب في فن الطهو والحياكة وأشغال الصوف والأزياء.

. لا ، أريد غيرها.

ـ عندي كتب في النحافة والرشاقة وتصفيف الشعر والزينة والتبرج.

. لا، أريد غيرها.

. عندي كتب في الأبراج والحظ وقراءة الكف والسحر والتنجيم.
. لا، أريد غيرها.
. عندي كتب في فن العلاقات الجنسية.
. لا ، أريد غيرها.
. للأسف، هذا كل ما عندي.

هي أم أخـــــتها؟

فوجئت حين خرجت لاستقبالي، هل هي نفسها حقاً؟ أم هل هي أختها؟ أكاد لا أعرفها. التقيتها من قبل مئات المرات، في الشارع في الحديقة في المقصف في بيت أختها، كنت ألتقيها في الأسبوع مرتين أو ثلاث مرات، طوال ثلاث سنوات، واليوم أتقدم رسمياً إلى خطبتها، فأزورها في بيت أهلها، فتخرج لاستقبالي أمام والديها وإخوتها، أكاد لا أعرفها، تخرج اليوم إليَّ وقد

صـففت شـعرها وازيَّنـت وتبرجـت ولبسـت الأسـاور والعقود، هل هي نفسها؟

عصفوران صغيران

سماء واسعة، أرض رحبة، أنهر دفاقة، بيادر غنية، غـلال كثـيرة، حـتى تـلال القمامـة والنفايـات كثـيرة، وعصفوران يقتتلان بالمناقير والأجنحة من أجل كسرة خبز.

هديـــــــــة

تشـاور الأولاد كثـيراً، حـاروا، أي هديـة يختـارون لأمهم في عيد الأم؟ أخيراً تكلم ابن السابعة، وقال:

. أقترح شراء سرير لأمي، فهي تنام دائماً إلى جانب أبي في سرير واحد.

يجوز الوجهـــــان

في السبعين رجع إلى هوايته المفضلة، من خلالها يعرف العالم، مدنه وأعلامه ومشاهيره وعظماءه وآثاره وشعاراته وأبرز حوادثه وأهم معالمه، رجع إلى هواية الطفولة: جمع الطوابع.

في السبعين من عمره شعر بالإحباط، أحس باليأس، سقط في العدمية، بدأ هواية لا جدوى منها، وهي جمع الطوابع.

متعة خاصة

عدَّ النقود، فوجدها خمسمئة فقط، ضحك، ضحك كثيراً.

دفع له ثمن علبة التبغ، وهمَّ بالمضي على الرصيف، ناداه الولد وهو يخبّئ علب التبغ تحت قميصه، ويحمل بيده رزمة نقود ورقية:

ـ يا عم، أرجوك، معي نقود ورقية كثيرة كما ترى، ساعدني على التخلص منها، سأعطيك منها

ألفاً وخمسمئة، أعطني بالمقابل ثلاث قطع من فئة الخمسمئة.

لا بأس، الأمر عادي جداً، أخرج من جيبه ثلاث قطع من فئة الخمسمئة، وناوله إياها، فلم يأخذها الولد، قال له:

. لا، ضعها في جيبك، سأعطيك نقودي أولاً.

اطمأن إليه، راقبه وهو يعدها، تناولها منه، وهم بوضعها في جيبه، فقال له الولد وعيناه تلوبان هنا وهناك:

ـ لا، يا عم، عدها، الأفضل أن تعدها، وأرجو أن تعجل، أخشى مداهمة شرطة المكافحة.

وعدها، وإذا هي ألف وأربعمئة ليرة، أعادها إليه، مؤكداً النقص فيها، تناولها الولد منه، وضعها بين أصابعه فوق رزمة النقود الورقية، عدها، قال له:

. الحق معك.

وأضاف إليها قطعة من فئة المئة، ثم ناوله إياها، وضع الرجل الأوراق النقدية في جيبه، وناوله القطع الثلاث من فئة الخمسمئة، ومضى.

من باعة الرصيف اعتاد أن يشتري دائماً علبة تبغه، هو من النوع المهرب، وكان دائماً يحرص على عد النقود، يعرف أن معظم هؤلاء الباعة لصوص ، ولا سيما الأولاد.

وصل إلى بيته، قبل أن يدخل إلى العمارة، توقف أخرج من جيبه الألف ليرة والخمسمئة، عدها، وإذا هي خمسمئة فقط.

ضحك، ضحك كثيراً، حتى دمعت عيناه.

أنا الذي خدعت الناس آلاف المرات بملايين الليرات، يخدعني ولد بألف ليرة؟

أبـــــــــراج

سحب مجلة من مجلات كثيرة مرمية أمامه على منضدة صغيرة، نفض عنها قصاصات الشعر المتطاير، وأخذ يقرأ فيها، لم أفكر مثله في أخذ مجلة، أخذت أرقب الحلاق بضجر منتظراً دوري.

التفت إليَّ وصاح بعفوية:

ـ صدقت الأبراج، كل ما هو مكتوب هنا في برج الثور جرى معي في الشهر الماضي، انظر.

ومدَّ إليَّ المجلة، وأضاف:

. انظر، طوال عمري ما كنت أصدِّق الأبراج.

نظر إليه الحلاق والمقص بين يديه يطقطق به ثم قال والبسمة تعلو فمه:

ـ أستاذ، هذه المجلة قديمة، عمرها ثلاث سنوات، اقرأ تاريخ صدورها.

البقـّال والمديـر

يدخل إلى محل البقالة المقابل للمديرية، العرق يرشح على جبينه، وقد احمر وجهه وانتفخت عروق رقبته، يصيح بالبائع:

ـ أعطني هاتفك الخلوي أو الأرضي، معي الخلوي، ولكن سأتصل به من رقم لا يعرفه، سأدفع لك ما تريد .

. تفضل أهلاً وسهلاً، أنا والمحل والهاتف في خدمتك.

ويقدم له كأس ماء مثلج، وهو يقول:

ـ تفضل اشرب أولاً، هدِّئ نفسك، ثم اتصل كما تشاء، لا بد أن ترتاح قليلاً، لا يمكن أن تتصل وأنت في هذه الحالة من الانزعاج.

يتناول منه كأس الماء، يكرعه دفعة واحدة، ثم يتكلم:

ـ مدير مكتبه صديقي، لكنه يقول لي: أنا آسف عنده لجنة عليا، هو في اجتماع مغلق، أتصل به من الخلوي، رقمه معي، هو قريبي، أبوه ابن عم أبي، ولكنه لا يرد، وأنا جئت من مسافة ألف كيلو متر لأخذ موافقته، لا يمكن أن أرجع من غير أخذ الموافقة، ولو كلفني الأمر كسر باب المكتب والدخول عليه.

وبهدوء يتكلم صاحب المحل:

ـ لا تكسر باب المكتب، صحتك لا تقدر بثمن، أنا سأتصل به لأجلك، وإذا شئت دخلت عليه وأخذت توقيعه على المعاملة من غير أن تزعج نفسك.

يستل سيكارة من علبة تبغه، يشعلها، ينفث الدخان، وهو يقول:

ـ خذ مني خمسة آلاف ليرة ووقع المعاملة بدلاً مني، أنا ما عدت أريد رؤية وجهه ولا وجه مدير مكتبه، أنا بريء من عمي ومن ابن عمي.

صاحب المحل يقدم له كرسياً وهو يقول:

ـ تفضل اقعد، هات المعاملة، المدير زبوني، كل حاجاته يأخذها من محلي، سأحضرها لك موقعة قبل أن تنتهي من سيكارتك .

الفنـــــدق الجديد

أتصل به بالهاتف، فيرحب بي أشد الترحيب، ويقول:

ـ الغرفة التي تنزل فيها دائماً محجوزة لك منذ اليوم.

ويصمت قليلاً ثم يضيف بلهجة مختلفة:

ـ ويسرني أن أخبرك أنني أجريت تحديثاً على الفندق سوف يدهشك.

بقيت إلى اليوم التالي أتوقع هذا التحديث، أتمنى رؤيته.

لا شك أنه غيَّر الفرش، بدَّل الأسرّة، طلى الجدران، الحمام جديدة، التكييف فعال، أصص الورد في الشرفات، في كل غرفة تلفاز وثلاجة صغيرة وخزانة رقمية، والمصعد لا بد أن يكون قد غيره.

وأطل على الفندق، أدهش للواجهة الرخامية، تذهلني الأعمدة المتوجة، اللوحة التي تحمل اسم الفندق جديدة في الحجم والشكل واللون والخط، أعبر الباب الزجاجي الدوَّار، أقف في البهو أتأمل التماثيل، الحاسوب أمام عامل الاستقبال، هذا كله لم يكن موجوداً من قبل، أحس أني فعلاً قد دخلت القرن الحادي والعشرين.

يخرج من مكتبه، يرحب بي.

وأمضي إلى الداخل، كل شيء على ما هو عليه، لم يتغير.

إلى الأبـــــــــد

قال لها:

ـ هـذا الحـب لـن نقـدر عليـه، لـن نسـتطيع الاستمرار فيه، هو أكبر منا، أكبر من الكون كله، فلنفترق.

قالت له:

. بل سيبقى حبنا إلى الأبد.

وقبل أن تتم الأشهر التسعة افترقا.

و بقي الحب وحده إلى الأبد.

حـروب قـــــــــذرة

طيور تشن حرباً على طيور، كلاب تهاجم كلاباً، زواحف تغزو زواحف، قطط تغير على قطط، في كل مكان، في الشوارع، في الأزقة، في الحارات، في الأرض، في الفضاء، حروب منظمة، في كل مكان، تستخدم فيها أسلحة منوعة، حديثة متطورة، تدخل فيها كل وسائل الإعلام: مرئية ومسموعة ومقروءة.

وأعلن البشر استنكارهم لتلك الحروب القذرة غير المشروعة.

الحلقــة التاليــة

في اللحظة الأخيرة قرر تأجيل الانتحار إلى يوم غد، كي يرى في التلفاز الحلقة التالية من المسلسل الجديد.

نـــار متقـــدة

دخان المعسِّل يتصاعد سحابات سحابات، الماء يقرقر في إيقاع يعلو ثم يفتر، الجمرات تتقد وترسل شعاعاتها الحمر، ونسمات صيفية حارة تلف برأسه مشبعة بغبار الرصيف ودخان السيارات.

نفسي تصفو وتشف وتحلِّق، دمي يغلي حماسة، أفكاري تشع وتتقد.

هذا الشارع المتفرع أمام المقهى يجب أن يغلق أمام السيارات، والشارع خلف المقهى من الأفضل أن يصبح أعرض، أما مبنى الجريدة فمن الضروري أن يعلو ثلاثة طوابق، ساعات البث في التلفاز يجب أن تتوقف ساعتين فقط، ليستريح الجهاز على الأقل، أما المذيعة فلو قصَّرت شعرها لكانت أجمل، لو سارت السيارات بالماء لأصبح الماء أغلى من النفط، عند كل إشارة مرور من الضروري وضع مسجلة تصدر صوتاً يقول قف أو سرّ للمشاة لأن بعضهم لا يسمع .

هنا، مع هذه النارجيلة، آلاف الأفكار يمكن أن تولد، المشكلة أني لا أحمل ورقة ولا قلماً كي أدونها.

مكافـــــأة

الأشجار الباسقة المغروسة في حديقة المديرية منذ خمسين عاماً قطعت، الزهور والورود اقتلعت من جذورها، وفرشت الأرض بالإسفلت الأسود، وارتفع في سمائها مظلة من قماش أبيض، تحولت الحديقة الغناء إلى موقف لسيارة.

لقد منح المدير العام لمصلحة الغراس والغابات سيارة فاخرة، مكافأة له على غرس ألف شجرة، ولا بد من أن يدخل بسيارته إلى مبنى المديرية، ولو استطاع لصعد بها الدرج إلى مكتبه.

سور جديد

رصد ميزانية ضخمة، جمع الخبراء والمهندسين والمختصين، ثم بدأ بتنفيذ ما قرره، وبعد خمس سنوات من العمل، بدّل السور المحيط بالمديرية بسور جديد.

البحث عن المكتبة

أمضي إلى زيارة صديقي حسام، في اليوم التالي لوصولي إلى حلب بعد غياب أقل من سنة عنها.

لم يكن حسام مجرد صاحب محل لبيع الكتب، بل كان مثقفاً حقيقة، لم تتح له ظروفه الانتساب إلى

الجامعة، نال الثانوية، وورث محلاً لبيع الكتب من أبيه، وأصبح نهماً للقراءة.

اخترقت الزحام في شارع القوتلي، ماراً بمحلات الألبسة الجاهزة، وأشرطة التسجيل، تجاوزت سينما حلب، لم تلفت نظري صور الممثلات في واجهة العرض، فقد أصبحت شيئاً مملاً، زكمت أنفي روائح الجبن المسخن، وأنا أمر بمحلات العصير والأطعمة الجاهزة، وأخيراً أقبلت على المحل.

هل أنا تائه؟ أين مكتبة الاستقامة؟ أين صاحبي حسام؟ هنا على يمينه محل الألبسة الجاهزة، وعلى شماله بائع النظارات الطبية، وأمامه بائع أجهزة التسجيل؟ أين المكتبة؟ وأدخل المحل مدهوشاً، ينهض لاستقبالي شاب في الخامسة والعشرين، رأسه مثل بطيخة صفراء، فقد حلق شعره كله بالموسى، ومن أذنه اليسرى تدلى قرط صغير، أخذ يتكلم:

. تفضل، أي محمول تريد؟ عندنا كل الأنواع، وأي نغمة تفضل؟ أستطيع أن أثبت لك النغم الذي تريد .

في الاتجاه الآخـــــــــــر

بيتـه بعيـد عـن بيـتي جـد بعيـد، أركـب إليـه عـدة وسائل، هو في أقصى الشرق من مدينتي، وأنا في أقصى الغرب، حين أبلغ حيه أجتاز إلى بيته تلالاً من القمامة، أخوض أنهاراً من الطين والوحل، أخترق أسواقاً، وأجتاز باعـة، أغـرق في النـداءات، أغـوص في الصـخب، أمـر بـأولاد كثـيرين كلهـم حفـاة، كـأنهم عـراة، يتقـاذفون كـرة لوثهـا الطين، أخشى أن تصيب الكرة معطفي، أخشى

أن تـزل قـدمي، أخشـى أن تسـقط فـوق رأسـي شـرفة متداعيـة، أخشـى أن يصـعقني سـلك يتـدلى مـن عمـود كهربـاء، أصـعد إلى بيته في الـدور الخـامس، أستند على مرفـق الـدرج، بعـض الـدرجات محطمـة، ألهـث، أتعـرق، أجتاز إلى غرفته الوحيدة في الداخل غرفة تغص بالأولاد والثياب وصحون الطعام، ألقي بجسدي في كرسي عتيق مجنح، يتسرب إليَّ من زجاج النافذة المحطم هواء يلسع، يقعد هو قبالتي على طرف سريره، وليس بيني وبينه إلا فسـحة صـغيرة، تكـاد أقـدامنا تتلاقـى، يقـدم لي كـأس شـاي، أرنـو إلى وجهـه الشـاحب الناحـل، أصـغي إلى صـوته المملـوء بـالقوة والحيـاة والأمـل، وهـو ينشـدني قصيدة.

رئيس الدائـــــــــرة

" جلـف، عنيـد، غليظ، بـل ظـالم ، مسـتبد، ولا يفهـم شـيئاً في أمـور الإدارة، ولا يعـرف شـيئاً مـن آداب السلوك والتعامل " هكذا كان يصف المدير، هكذا كان يحـدث عنـه زوجتـه وأولاده وأصـدقاءه، بـل هكـذا كـان

يتحدث عنه أمام بعض زملائه في العمل، ممن يثق بهم، وأحياناً أمام بعض المراجعين.

وتوفي رئيس الدائرة، فنقله المدير من رئيس الديوان إلى رئيس الدائرة، وعلى الفور بدأ يشدد التدقيق على الموظفين، منع الزيارات الخاصة، منع زيارة الموظفين بعضهم لبعضهم الآخر، التأخر عن الدوام لدقائق يحوله إلى ساعات، والساعات يحولها إلى أيام، ألغى الإجازات الساعية، ما من موظف إلا ناله حسم من راتبه، طالب لجنة الشراء أن تدخل في حساب القرطاسية ثمن القهوة والشاي لضيوفه، رفض أن يدفع للمستخدم ثمن القهوة والشاي، طالب بسكرتيرة خاصة تساعده، طالب بمدير مكتب ينظم دخول المراجعين عليه، منع موظفي المؤسسة من مراجعته، من كان له حاجة فليتقدم بها إلى الديوان في طلب خطي، توقيعه القديم بسيط، سهل التقليد، لذلك غير توقيعه، زاد فيه خطوطاً بالطول وأخرى بالعرض، وثالثة منحنية ورابعة منكسرة، كان ختمه دائرياً، فغيره إلى ختم مربع الشكل، كختم المدير، لم يعد يختم هو بنفسه، هو يوقع فحسب، والختم عند السكرتيرة.

أما المدير فقد تغير حديثه عنه: "كان الله في عونه " هكذا بدأ يتحدث " أعماله كثيرة، مسؤولياته كبيرة، يدير الأمور بذكاء، لا يؤخر معاملة، ولا يرد طلباً، منظم، دقيق في مواعيده، يطور في المديرية باستمرار، هو صاحب عقل مبدع، كل ما أقترحه يوافق

عليه من غير تردد، لطيف جداً ورقيق، ومهذب الطبع، ولكن الناس لا يقدرون ولا يفهمون ".

لم يتم العام دورته، حتى عين في رئاسة الدائرة موظف جديد، أعيد هو إلى رئاسة الديوان.

" قلت لكم من قبل فلم تصدقوني، هو جلف، عنيد، غليظ، بل ظالم ، مستبد، ولا يفهم شيئاً في أمور الإدارة، ولا يعرف شيئاً من آداب السلوك والتعامل، أنا عرفته من قرب ".

هكذا عاد إلى الكلام على المدير.

المطعم المزدحم

كل الأشياء حاضرة، جاهزة.

المطبخ مطل من جهة بنافذته الزجاجية الواسعة على شارع صاخب، ومفتوح من جهة أخرى على الشقة الواسعة الهادئة، الممتدة إلى ما لانهاية، حيث لا

جـدران، والغـرف السـبع مفتوحـة، صـحون الكريسـتال الفـاخر تتخذ مواضعها على المنضدة، شموع من حجوم مختلفة تنتظر أن توقد.

كل الأشياء في مواضعها على أحسن ما يجب أن تكون.

حـذاء مـن جلـد التمسـاح الفـاخر يـدخل، يعلـوه معطـف مـن فـرو بـاهظ الـثمن، تتعلـق بـه حقيبـة كتـف مذهلـة، وترمـى علـى المنضـدة قفـازات متميـزة، ولكـن سرعان ما تحمل لتدخل في جيب المعطف .

وتخرج السيدة إلى مطعم مزدحم.

قطعة صابون

وهـو يغـادر الفنـدق الفخـم سـأله منـدوب الشـركة التي استضافته:

ـ أرجـو أن تكـون راضـياً عـن الجنـاح الـذي حجزناه لك، هو أفخم جناح، وهو خاص بالوفود

الدبلوماسية العالية المستوى، كلف الشركة ثلاثة آلاف دولار لهذه الليلة.

مد يده إلى جيبه وأخرج قطعة صابون صغيرة ملفوفة بورق خاص يحمل اسم الفندق وصورته، وقال:

ـ من هذا الفندق كله أعجبتني قطعة الصابون الصغيرة هذه، لم أستعملها، وأنا أحملها الآن إلى ولدي الوحيد للذكرى.

اهتمام خاص

. ما رأيك بالمحاضرة والمحاضر؟

ـ لم أنتبه إلى المحاضرة، طوال الوقت كنت فقط أعد على المحاضر أخطاءه النحوية.

شُـــمُـوعٌ .. مُـعَــطَّرَة

الشمعة والقصيدة :

أوقد شمعة، وفي ضوئها أخذ يكتب القصيدة.

احترقت الشمعة، احترق الشاعر، احترق العالم، وبقيت القصيدة.

الشمعة والمدينة :

موجة حر حطت فوق المدينة، حاصرتها، أطبقت عليها. الشمعة اختنقت، ضعف قوامها، بدأت تذوب،لانت، كادت تنحني، أخذت تصيح:

ـ أرجوكم أشعلوني، أريد أن أحترق بناري، لا أريد أن أذوب، لا أريد أن أنحني أمام هذا الحر.

مرَّ بها تاجر، سمع النداء، لم يستجب، مرّ بها شرطي، سمع النداء ، لم يستجب، مرَّ بها بائع متجول، مر بها رجل يشتري الحاجات القديمة، مرّ بها كثيرون، سمعوا النداء، وما من مستجيب.

من مكان بعيد سمع النداء شاعر عاشق، أسرع إليها، بأناملة أوقدها، فاحترقت، واحترق معها، ومع اشتعالهما انقشعت عن المدينة موجة الحر.

هي والشمعة :

أوقدت الشمعة وجلست أمام المرآة تسرح شعرها.

قوام رشيق، بياض متألق، بسمة مضيئة، شعر كالليل، ملمس ناعم، جسد بض، فم كالشهد، عينان كالفجر.

خجلاً منها وحياء ذابت الشمعة وانطفأت.

في ضوء الشمعة :

في ضوء الشمعة جلست تقرأ لي قصة قصيرة جداً.

الشمعة تزداد ألقاً، تتوهج، أذوب أنا، وأنطفئ.

هيام :
أيتها الشمعة البيضاء المقدسة
كم أود الاقتراب منك
كم أود أن أحترق بنورك ونارك
وكم يؤلمني أني لا أستطيع
ليس لي جناح أسمو به إليك.

أنا والشمعة :
إلى المعبد يدخل المصلون بالشموع
وإلى بيتك أوقد شمعتي وأدخل.

هي والشموع :
الشموع من حولها تحترق
وهي في وسطها تصلي.

توهج :
أشعلتُ لها شمعتي الوحيدة
وقبل أن تتوهج
أشعلت لي أناملها العشر .

سهو :
معاً أشعلناها
لا نعرف كيف انطفأت

سهونا عنها
أظن أنا معاً
أهملناها

لا تشعلي الشمعة :
أرجوك
لا تشعلي الشمعة
أرجوك لا تشعليها
وأنا مسجى والملاءة البيضاء تغطيني
اتركيها
لأي فرحة قادمة

الظلام :
الظلام شديد
مستبد شامل
طاغ كالليل والموج والجند
مسيطر
ماذا يمكن أن تفعل شمعة واحدة؟
لا ليست وحدها
فلنشعلها
ثمة من غير شك شموع أخرى
ولتكن وحدها
حسبها أن تطرد
هنا والآن

بعض الظلام

شمعة تكاد تنطفئ :
لا قمر
لا نجمة
الظلام مطبق
شمعة واحدة تحترق
لم يبق منها سوى ذبالة
تكاد تنطفئ
ما الذي يمكن أن تفعلوه لأجلها؟

معاً أشعلناها :
شمعة بيضاء واحدة
لا أعرف من منا أطفأها؟
بعد أن أشعلناها أنا وأنت معاً.

شموع عيد الميلاد :
أرجوك لا تشعلي في عيد ميلادي خمسين شمعة
أشعلي شمعة واحدة
لا أريد لخمسين شمعة أن تحترق
أخشى على أناملك
(الراعشة)
أن تحترق

يكفي أن تشعلي شمعة واحدة
مللت من إطفاء عشرات الشموع كل عام
(أخشى أن تنطفئ أنفاسي
ولا أتمكن من إطفاء خمسين شمعة).

أطفئ الشمعة :
. أرجوك أطفئ الشمعة.
. هل تخجلين منها؟
. بل أغار.

أمنية طبيب

هو صديقي وطبيبي الخاص، أزوره كل يوم، ولا سيما بعد إحالتي على التقاعد، أزوره في وقت متأخر، حوالي التاسعة والنصف، وقت إغلاق العيادة، فنقعد نصف ساعة، حتى العاشرة، نحتسي القهوة، نتبادل أطراف الحديث، ثم يوصلني بسيارته إلى البيت.

اليوم زرته فوجدته في غرفة الانتظار، يروح ويجيء، يطل من النافذة، يلتفت إليَّ، يقول لي:

. جئت في وقتك، أكاد لا أصدق، أكاد أجن، تعال إلى غرفتي لأحكي لك.

ويقعد وراء طاولته، أقعد أمامه، ما يزال مضطرباً، يقول:

ـ الممرضة أثارت شكوكي، الآن نزلت لعلك رأيتها على الدرج، قالت إن أحداً لم يدخل علي، قالت إن آخر مريض خرج قبل ربع ساعة، ولكن أنا على يقين من أنه دخل علي وحدثني، المس جبيني، هل حرارتي مرتفعة؟ حقاً أنا اليوم متعب، ولكن ليس إلى درجة أن أتخيل أشخاصاً لا وجود لهم، أنا متأكد من أنه دخل عليَّ.

. من دخل عليك؟

. رجل جهم طويل، أدهشني، أين اسمه؟

وينظر في دفتر المرضى، ثم يضع يده على جبينه، ويهتف:

. يا إلهي، نسيت أن أسجل اسمه، كيف حدث هذا؟ هل أنا واهم؟ على كل حال اسمع، فور دخوله قال لي أنا مريض، ضحكت وقلت له: طبعاً فأنا لا يزورني إلا المرضى، قال: أنا مريض من نوع آخر، هو في نحو الستين من عمره، قال: أنا مريض لأني لم أمرض طوال عمري، أنا حتى الآن لم أتناول حبة دواء، ولا حقنة، ولم أقس يوماً ضغطي، ولا أعرف ما

زمرة دمي، ولم أراجع طبيباً أبداً، قال هذا ثم خرج، آه نعم خرج، ولكن لماذا جاء ؟ وكيف خرج؟ لا شك أني متعب، الممرضة على حق.

أقول له:

ـ هذه أمنيتك يا دكتور، أنت تتمنى أن ترى إنساناً لم يمرض قط.

المبنـــــــى

لا أعرف، ثمة قوة ما، كالقدر، قذفت بي إلى هنا، ذهلت، أول ما لفت نظري في المبنى السامق، شرفتان مندفعتان إلى الأمام، كل منهما نصف دائرة، بل نصف قبة، لا انكسار فيهما ولا زاوية حادة، بل هما تتكوران هادئتين ناعمتين دافئتين، بينهما جدول عطر ينساب،

شذاه عبق، متميز، ولجت الباب، غمرني دفء رطب، عمت في رطوبة دافئة، سبحت في نور معتم، بل في عتمة منورة، كل شيء مختلف، لم أر مثله من قبل، له خصوصية، اندفعت كالسهم، أخترق الفضاء، وأنا أسبح، أعوم، أغرق، أحسست أني امتلكت الكون كله، شعرت أني أعرف عمق الأشياء، انتابتني رعشة غريبة، ظمئت، بل ارتويت، ما عدت أدرك الأبعاد، شعرت بنعاس، ذبول اعتراني، استرخاء غريب انتابني، كأنني مخدر، لجأت إلى زاوية، تحت درج صاعد، انزويت، قعدت على الأرض، ثنيت ركبتيَّ، ألصقتهما بصدري، طويت يديَّ فوقهما، خبأت رأسي بين يدي، ما عدت بحاجة إلى طعام أو شراب، كأنني في رحم أمي، ونمت.

امتحـــــــــان

ثنى يديه على حافة المقعد، حط رأسه فوقهما، واسترخى، نام، مثل خرقة مبلولة.

ما عاد ينفع شيء، حتى القلم نفسه ما عاد يسيل منه أي قطرة، جف، أمسك به، حك به حافة الورقة، لكن ما من فائدة، قال له صديقه مرة: " بلَّ رأسه، كان جدي يبل رأس قلم الرصاص بلسانه قبل أن يكتب به

"، ضحك، بلّه بفمه، حك به الورقة ثانية، ولا جدوى، يأبى أن يستجيب، كأنه ليس بقلم.

أدخل أصابعه في شعره، حك فروة رأسه، استرجع شتى الصور والأفكار، أعمل خياله، ولكن لا جدوى، ما من شيء أمامه سوى صفحة بيضاء، صفراء، تلال من رمال قاحلة، لا صفراء ولا بيضاء ولا رمال ولا صحراء، لا شيء، تماماً مثل شاشة سينمائية بيضاء، انتهى العرض، فلا شيء، أي امتحان هو؟ خاض امتحانات كثيرة، ما خاب قط، ولكن ماذا حل به هذه المرة؟

يحس أنه معلّق في الفراغ، لا شيء، كلمة " لا شيء " وحدها المعبرة، يحس أنه مشلول، لا يعرف لماذا يود لو ينام، يود لو يغرق في بركة ماء.

صوت ناعم يتسرب إليه، شذى عابق يغمره، يرفع رأسه قليلاً، وإذا كأس بيضاء نقية أمام عينيه، تلتف عليها أنامل أنثوية رقيقة، تنتهي بأظافر حمراء قانية، والماء في الكأس يأتلق، يشع، تنعكس فيه ظلال وأنوار، يشف عن الأنامل، يعانقها، كأن الأنامل وحدها تحمل الماء من غير كأس.

وصوتها الناعس كالموسيقا يتهادى إليه، صوتها مثل عينين ترميانه بنظرة، الماء يتغلغل إلى روحه، الماء ينداح على الورقة، يغطيها، يبل القلم، يبله كله، يرفع رأسه، الماء يتألق في عينيه في فمه، لسانه يشرب يرتوي،

روحه تنتعش، يحل في بحيرة من شذى، عيناها مثل جناحي سنونوة، تحلقان به بنظرة، تغمسانه في الماء.

تمسك القلم بأناملها تهمس له، تشجعه:

. هيا اكتب، شغّل قلمك، الوقت يمر، الصفحة البيضاء تنتظرك، اكتب أي شيء، ابدأ بحرف، بكلمة، المهم أن تبدأ، وسترى الحبر وقد بدأ ينثال .

يمسك القلم، يحس الرطوبة في يده، يحس بالسائل داخل القلم قد تحرك، يحك الورقة برأس القلم، آلاف الصور والأخيلة تملأ رأسه، كل شيء يغرد، يتحرك، ينهض، يشرئب، القلم في يده ينطلق نحو الورقة، يصب رأسه عليها، يبدأ بالنقطة، ويسيل الحرف، تنداح الكلمة، تطغى الجملة، ويتدفق الكلام، الصفحة البيضاء تمتلئ.

المفتـــــــــــاح

تقول لي أمي: " هيا، أسرع إلى جارتنا أم صبحي، قل لها أمي تريد لوح صابون، سخنت الماء حتى أغسل، ولم أجد قطعة صابون"، أقول لها: " سأشتري من محل أبو جميل.."، وتقاطعني: " لا، أبو جميل يبيع في محله أردأ الأنواع، هيا أسرع، غداً يشتري والدك خمس كيلوات، وأرد لها اللوح، هي تستعير دائماً الملح والخبز والبهار"، أسرع إلى الزقاق، أعدو فوق البلاط المفلطح، وأنا أحلم بقرع سقاطة باب دار أم صبحي، سقاطة

باب دارها قبضة يد برونزية، وفي كل مرة أزورها أرجع بقطعة سكر، وأنعطف، فأرى أم صبحي وهي تغسل الدرجات أمام الباب، المكنسة بيد، وإبريق الماء بيد، تحس بحركة وصولي، فتتراجع، لتختفي وراء الباب، وحين ترفع رأسها تراني، فتقول: " هذا أنت يا عماد، حسبت رجلاً قادماً ". وتدلق آخر ما في الإبريق من ماء، ثم تقول: " اخلع حذاءك، وأمسكه بيدك، وادخل، الآن خلصت من شطف أرض الدار، فنيت اليوم في الغسيل والتنظيف"، وأحمل حذائي بيدي وأدخل، أقف صامتاً، عيناي عالقتان بقميصها النديان الملتصق بجسدها، تسألني: " ما ذا تريد أمك؟ لماذا أرسلتك؟ "، وأصمت، ، لا أعرف ماذا أقول، نسيت ماذا تريد، تسألني: " ماذا تفعل أمك؟ هل تطبخ المأمونية؟ وتريد السكر؟"، وأرد: " لا، هي سخنت الماء وسوف تغسل الثياب"، تقول لي:" أرسلتك من أجل الصابون، ادخل إلى المطبخ، في الخزانة على يدك اليمنى ستجد الصابون، ادخل وخذ لوحين بدل اللوح الواحد"، وأمضي إلى المطبخ، ثم أرجع، ما تزال تكنس بقايا الماء في أرض الدار، أقول لها: " الخزانة مقفلة "، تنحني قبالتي، تقول لي: " المفتاح هنا في صدري، بين الثديين، مدَّ يدك وخذه"؟.

خصـــــــام

لماذا لا يتصل هو؟ هل عليَّ أنا أن أتصل دائماً؟ ما هذا الغرور؟ ما هذه الكبرياء؟ وإذا ما بادرت أنا إلى الاتصال لا بد من أن أسأله: متى سنلتقي؟ أو أقول له: هل أراك اليوم؟ ما هي مشروعاتك لهذا اليوم؟ أنا مللت، لن أتصل به بعد اليوم، وإذا اتصل هو فلن أرد على الهاتف، ولن أعده، حتى لو ألحَّ عليَّ بطلب اللقاء، يعذبني هذا الأسلوب، أكرهه منه، سأقاطعه، ليذق بعض الألم، ها قد خاصمته، وقاطعته، لكن أحس أني تعودت على هذا الأسلوب، وتعود هو عليه، هل يعقل

أن يمضي يومان من غير أن نلتقي؟ جميل فعلاً أن أبادر أنا إلى الاتصال.

وتسرع نحو الهاتف، تتصل به.

وفي المساء تلتقيه، وتغنّي له:

خاصمتك بيني وبين روحي
وصالحتك و خاصمتك تاني

حـــــــــــب بالتفاهم

ـ أود التعرف إلى تلك الشقراء، ولكن لا أعرف، دلّني، أنت مقيم هنا في باريس منذ عشر سنوات، وأنا ضيف زائر.

. لا تتردد، تعرف عليها.

ـ ما رأيك؟ هل أقترب منها ثم أدوس على قدمها بلطف وأعتذر إليها بسبب الزحام؟

. هذه طريقة الأفلام المصرية، ستقبل اعتذارك، ولكنها لن تهتم بك.

ـ أقتربُ منها، ثم أدفعها بكتفي، مفتعلاً، ثم أعتذر بسبب انعطاف المترو فجأة؟

ـ ولكن المترو لا يفعل هذا أبداً، ولست في حافلة عادية.

. ماذا أفعل إذن؟

ـ ليس هناك أي مشكلة، اقترب منها، سلم عليها، وأعرب لها عن رغبتك في التعرف إليها بكل بساطة وعفوية.

أبواب المستقبل

. أخي أبو جميل، جئت طالباً مساعدتك.

ـ أقسم بالله العظيم الحركة واقفة، ليس هناك بيع ولا شراء، وبضاعتي كلها بالأمانة، وكل أسبوع عليَّ دفعات مستحقة، افتح بنفسك درج المكتب، إذا وجدت ألف ليرة فخذها هي حلال لك.

ـ يا أخي ما جئتك طالباً المساعدة المالية، جئتك طالباً المساعدة في المجتمع.

ـ صدقني أنا هنا تاجر في السوق ولا أعرف غير أصحابي التجار، ليس عندي صديق لا في الجيش ولا في القضاء ولا في التعليم ولا في المستشفى؟ بأي شيء تريد مساعدتي؟

. أنت أخي الأكبر وفي مقام والدي، وزوجتك في مقام والدتي، أريد أن تذهب اليوم أنت وزوجتك معي لخطبة زميلة لي في الجامعة؟

. منذ متى تعرفها؟

. منذ سنتين؟

. منذ سنتين وأنت تصرف عليها؟ الذي أنفقته عليها في سنتين أنا كنت تاجرت به وكان تضاعف عندي عشرة أضعاف.

ـ لا يا أخي أنا أعرفها منذ سنتين، ولكن من بعيد، ما كلمتها ولا مشيت معها، هي مهذبة جداً.

ـ أنا حسبت أنك وقعت في الحب، مثل الأفلام، اسمع نصيحتي، سأخطب لك ابنة أخت زوجتي، أبوها تاجر كبير هنا في السوق، أمواله لا تأكلها النيران، هي في الحقيقة ما تابعت دراستها، حتى الشهادة الثانوية لم تحصل عليها، وجمالها دون الوسط، ولكنها تساعد أمها في المطبخ، وتعرف الطبخ، وهي هادئة ومطيعة، أهم شيء في المرأة أن تكون هادئة ومطيعة، وأن تحسن الطبخ، إذا تزوجتها فستعمل أنت في محل والدها، وتصبح مثل الشريك له في أعماله، وبعد بضع سنين ترث

كل شيء، هي وحيدته، اسمع مني، هذه نصيحتي لك، في هذا المجال أستطيع مساعدتك، وهو لن يرد لي طلباً، هو بصراحة طامع في محلي، ويريد شراءه، يعني يريد ضمي تحت جناحه، بهذه المصاهرة أستطيع عرض الشراكة عليه بدلاً من بيع المحل، ما رأيك؟

الكلب الأســـــــــــود

القمر يرسل موسيقاه، وأقدامنا تغوص في الرمل، يغسلهما الموج، وننحني معاً لنلتقط القواقع الفارغة والأصداف، أنا التقطت أكثر منك، بل أنا ألتقطت أكثر، وأضم راحتيها إلى راحتي، ونرمي كل ما جمعناه معاً، نعيده إلى البحر، وتتعانق يدانا، وعلى الرمل ترتسم خطانا، وتمحوها الأمواج لترتسم ثانية، على إيقاع قلبينا، وعلى الأمواج تتراقص الأقمار.

ومن قلب العتمة، يقفز إلى القمر كلب أسود، يبتلعه، ثم ينقض علينا.

العصـــــــــر

الشمس كأم حنون، تحنو على المدينة، تمنح المآذن والقباب وزجاج النوافذ ورؤوس الأشجار لون الذهب المشع، وهي تميل نحو الأفق الغربي، الكون متألق، وكل شيء جميل، والناس لطفاء كالعطر، والحياة كالموسيقا الناعمة، جديرة أن تعاش.

وهو على درج الحديقة ينتظر، حدُّ بنطاله قائم كالسيف، شعره مصقول كالمرآة يلتمع، طيات قميصه

الجديد ما تزال ظاهرة، عطره عطر عاشق أنيق فاخر، النسمات الربيعية من حوله تحمله إلى غيمات رقيقة.

سيظل ينتظر ولو غابت الشمس، سينتظر إلى الفجر، بل إن الشمس لن تغيب قبل أن تأتي.

ويتقدم منه ولد يبيع أوراق النصيب، يلح عليه بشراء ورقة، يهمس له:

ـ سأشتري واحدة، لن أردك خائباً، ولكن انتظر، حتى تأتي، لتختار هي ورقة نصيبي .

يقترب منه عجوز متسول، يمد له يداً شوهاء، يتردد قليلاً، ولكنه سرعان ما يضع في يده قطعة نقدية وهو يهمس:

. لأجل عينيها.

يقترب منه مصور، يسأله أن يلتقط له صورة تذكارية، يهمس له:

ـ سألتقط أكثر من صورة، ولكن انتظر حتى تأتي.

تقترب منه صبية، شعرها مصبوغ، فمها مصبوغ، وجهها مصبوغ، تلوح له بمفتاح في يدها، ينهض، ينتقل إلى طرف آخر من درج الحديقة.

عيناه عالقتان بمدخل الحديقة.

يقترب منه رجل طويل القامة، على عينيه نظارة سوداء، عريض الكتفين، بارز الصدر، كأنه ملاكم أو رافع أثقال، يقف أمامه، يستل سيكارة، يشعلها وهو يهمس له:

ـ لا تلفت الأنظار إليك، وبهدوء، اصعد إلى السيارة الواقفة هناك أمام باب الحديقة، منذ ساعتين ونحن نراقبك، لا تأت بأي حركة، أنا وراءك.

في المقعد الخلفي من السيارة يتلقاه رجل آخر شبيه بالأول، يضع قيداً في يديه، وقبل أن يعصب عينيه بعصابة سوداء، يلمحها من وراء زجاج السيارة القاتم قادمة نحوه على الرصيف، مشرقة الوجه، متألقة، والشعر الأشقر يتطاير على كتفيها، وهي تخطو على الرصيف مسرعة، والشمس ترسل على المدينة شعاعاتها الأخيرة .

أقصى الســـــرور

حملتنا المديرية العامة في رحلة إلى البحر، وكان لا بد من أن نخلع الثياب وننزل إلى الماء، سواء من كان يعرف منا السباحة أو لا يعرف، فالشاطئ الرملي يغري.

خلع ثيابه مثلنا واقترب من البحر، كرشه تدلى مثل لسان كلب هرم، لحم صدره رجراج متجعد، رجلاه قصيرتان جداً، وفخذاه ممتلئتان جداً، ردفاه كردفي عجوز، ظهره ضيق ناحل، كتفاه ضيقتان لا يمكن أن يقف عليهما عصفور واحد، والتفت إلينا، يشير بيده،

يـدعونا إلى دخـول البحـر، كأنـه يعطينـا إذنـاً أو كأنـه يستغيث بنا، يريدنا حوله، والتفت وهو يشير، وانحلت عقدة سرواله، وسقط السروال، وقبل أن يغطي عورته بيده رأيناه جميعاً حتى السكرتيرة والموظفات.

وضحكت، ضحكت كثيراً، لأني ما كنت أحلم أن أرى المـدير العـام وراء مكتبـه الفخـم في المديريـة العامة، فكيف بي وأنا أراه اليوم عارياً؟ .

منظار مقـــــــــرب

ينتظر الليل بشغف، ينتظر أواخر الليل، لأجلها اشترى المنظار المقرب، هو منظار خاص، عسكري، من منـاظير الميـدان الحربيـة، كـل ليلـة يراهـا، قبيـل الفجـر، والعتمة ما تزال مخيمة، تنهض، تضيء مصباحاً خافتاً، ولا يعرف ماذا تفعل، إلى أن ينبثق نور الفجر، فتسدل الستائر، وتنام، لأجلها ينهض كل ليلة، وأحياناً يظل يقظاً، وضع المنظار المقرب على عينيه، وسلطه على نافذتها، وإذا هي في كامل حجابها تصلي.

مســـــــــــتعدة

القضبان بيننا وبينه، وهو من ورائها يروح ويجيء.

لا أعرف هل هو غضبان ؟ هل هو ثائر؟ هل هو جـائع؟ رقعـة واسـعة مـن الأرض وراءه، فيهـا تـلال وأشجار، هناك يمكنه أن يعدو أو يتسلق أو ينام، ولكنه يأبى إلا أن يتجه إلينا، كأنه يود الخروج إلينا، كأنه يود اختراق القضبان.

هل ألف زوار الحديقة؟ هل أنس بهم؟ ليس معنا ما نلقيه إليه، هناك أمام البط والإوز والقردة رمينا إليها بأشكال شتى من الأطعمة، ولكن ماذا يمكن أن نرمي لنمر هائج؟

إلى جانبي أصغر أعضاء الفوج السياحي، في العشرين، تتأمله بشغف، وهو يروح ويجيء، ألتفت إليها، أهمس:

. هو مهتاج لأجلك.

. أنا مستعدة للدخول إليه.

وحدك ...

١

وحدي في غرفة الفندق، الأرق يأكلني، محطات التلفاز كلها لا تسليني، لا الصحف التي أحملها، ولا الكتب، الثانية بعد منتصف الليل، أبحث في ذاكرتي، أنبش، طلباً لرقم واحدة من النسوة اللواتي أعرفهن، أخيراً أطلب الرقم ويأتيني الصوت من الطرف الآخر:

. أهلاً بابا.

. نادي ماما.

٢

أراجع ذاكرتي فأجد أن معظم النساء اللواتي لفتن نظري في محطات القطار أو الحافلات أو الفنادق أو

المحلات الفاخرة، وأنا مسافر، وأن معظم الممثلات والمذيعات والمطربات اللواتي أعجبت بهن وأنا شاب، يشبهنك أيتها الزوجة الحنون.

٣

كانت أمي تمسك بيدي وأنا طفل وتمضي بي إلى الحدائق والأسواق والحارات القديمة والأزقة الضيقة لزيارة الأهل، واليوم تمسكين أنت بيدي لنسير معاً في الحارات والأزقة والأسواق لنكتشف معاً مدينتنا القديمة، أيتها الزوجة الحنون.

٤

أعرف أن هناك نساء في العالم أجمل منك، وأن هناك صبايا أكثر منك فتنة وأشد إثارة، وأن هناك من النساء أشكالاً وأنواعاً وأمزجة وأهواء، ولكنك أنت وحدك امرأتي، ومزاجي وفتنتي والنوع الذي أهوى، يكفيني أنك أنت وحدك معي، وحدك أنت تكفيني، أنت كل ما أريد، أيتها الزوجة الحنون.

٥

في الشارع المزدحم، التقت عيناي بعينيها، عرفتني على الفور، وعرفتها، جارة قديمة منذ ربع قرن، صديقة قديمة منذ نصف قرن، عشيقة قديمة منذ أكثر من قرن، التصقت بك أكثر، وضغطت على يدك أكثر، وتعلقت

بك أكثر، لاحظت هي كل شيء، وعرفت كل شيء، سررت لأنك أنت بقربي، أيتها الزوجة الحنون.

٦

. صحفية دعتني إلى مقابلة في الفندق، أقترح أن نذهب معاً للقائها.

ـ بل اذهب وحدك، أنا واثقة بك، ومطمئنة إليك، أنت زوجي، ويسرني نجاحك وشهرتك، نجاحك هو لنا جميعاً، أنا والأولاد.

٧

. كيف هو جناحك؟

. رائع جداً، هو شقة كاملة، غرفة للنوم بسرير واسع، وأخرى للاستقبال، وتلفاز، وأثاث كامل، ومطبخ، وثلاث شرفات، تطل على البحر من كل جهات.

. أسألك، وأرجو أن تجيبني فوراً، من تشتهي أن يكون معك؟

. زوجتي.

. والحسناوات اللواتي رأيناهن في بهو الفندق؟

. لن يخطرن لي على بال.

. وإذا خطرن، أو قرعن عليك الباب؟

. سأعتذر إليهن، سأطردهن في الحال.

٨

أرجوك، لا تشعلي في عيد ميلادي خمسين شمعة، أشعلي شمعة واحدة، لا أريد لخمسين شمعة أن تحترق، أخشى على أناملك (الراعشة) أن تحترق، يكفي أن تشعلي شمعة واحدة، مللت من إطفاء عشرات الشموع كل عام، (أخشى أن تنطفئ أنفاسي، ولا أتمكن من إطفاء خمسين شمعة).

٩

الثريا في السقف تهتز، والأرض من تحتنا تتحرك، وتسرعين نحوي، تختبئين في صدري، أضمك إليَّ، أشدك بقوة، وأنا أهمس:

. لا تخافي، هو زلزال بسيط.

وتهمسين:

. لست خائفة، ولكن أريد أن نموت معاً.

١٠

الآن، وأنا أصعد الدرج إلى الطبيب، أتوكأ عليك، الآن، تأكد لديَّ بما يشبه اليقين، أن الأبقى والأصدق والأوفى، هي وحدها يدك، أيتها الزوجة الحنون.

١٢

أنابيب التغذية في ذراعي، وأنا راقد على السرير في المستشفى، آخذ يدها بين يدي، وأهمس لها:

ـ سامحيني أيتها الزوجة الحنون، وعدتك وعوداً كثيرة، لم أستطع تحقيق شيء منها، لم أخدعك، ولكن الظروف ظلمتك وظلمتني.

ولائـــــــــــــم

يأتي شهر رمضان، فيهزل، يخسر نصف وزنه، ويأتي العيد، وتمر أيام العطلة، ثلاثة أيام أو أربعة، ونرجع إلى الجامعة والمحاضرات، فيمتلئ، ويزداد وزنه أكثر مما كان عليه قبل شهر رمضان، تنتفخ بطنه، وتعلو، كأنه حامل، ويمتلئ صدره كأنه مرضع، وتبدأ امتحانات الفصل الأول، فيأخذ جسمه بالنحول، ويخسر ما تراكم على جسمه من شحوم ولحوم، وينتهي الامتحان، وتأتي إجازة منتصف العام، ونفترق، لنلتقي بعد خمسة عشر يوماً، وإذا هو قد امتلأ، وأصبح وزنه ضعف ما كان عليه، تضخم بدنه، وكبر رأسه، وانتفخ خداه، وتدلى اللغد تحت ذقنه، وغلظت رقبته، ثم يأخذ في الهزال شيئاً فشيئاً، مع بدء المحاضرات وامتداد الدوام من الصباح إلى المساء، وما يلبث أن يهل علينا عيد الأضحى، ويغيب عنا أربعة أيام أو خمسة، ويرجع وإذا هو أشد امتلاء مما

كان عليه من قبل، وجسمه يزداد بدانة وغلظة، وذات يوم سأله أحد الزملاء :

. ما سر هذا النحول والامتلاء.

فأجاب:

. في العطلة أرجع إلى القرية، وتقام لي الولائم، يدعوني أعمامي وأخوالي وعماتي وخالاتي وأبناؤهم وبناتهم، وملعقتي دائماً دوارة من مائدة إلى مائدة ومن وليمة إلى وليمة.

رسـالة

سرت في جسمه رعشة من سرور، وهو يتناول الرسالة من موزع البريد، فعلى الظرف شعار المديرية، ها قد تذكرته مديريته التي تقاعد عن العمل فيها قبل عشر سنوات، لا شك أنها أرسلت إليه كتاب تقدير، أو دعوة لحفل تكريم المتقاعدين، أو ربما أرسلت إليه شيكاً بمبلغ ما، ولو ضئيل، وإن كان لا يتوقع ذلك، أخرج نظارته من جيبه، وضعها على عينيه، وقرأ اسم المرسل على الظرف، وإذا هو زميله، مديره القديم، الذي سبقه إلى التقاعد.

مازال يحتفظ من عهد المديرية بظروف بريدية فارغة عليها شعار المديرية.

مئـــــــــــات الردود

أرجـع إلى البيـت، أتـذكر وجهـه، أتـذكر عينيـه، أسترجع كلماته، لماذا لم أنفعل في وقتها، لماذا لم أنزعج، لمـاذا لم أرد عليـه، تحضـرني الآن مئـات الـردود، غـداً سأعاتبه وألومه ولن أغفر له.

وألتقيه في صباح اليوم التالي، ونشرب معاً قهوة الصباح، وأنسى.

الكتـــــــــــاب

أرسلت إلى أحد الأصدقاء بالبريد نسختين من كتاب صدر لي حديثاً، واحدة له، وأخرى يهديها لمن يرغب، وبعد شهر أو أكثر تقريباً اتصلت به بالهاتف أسأله عن الكتاب، فشكرني كثيراً وأكد لي أنه قرأ الجزء الأول من الكتاب، وسوف يقرأ الجزء الثاني.

*

توفي أحد هواة جمع الكتب، وكانت لديه مكتبة كبيرة نسبياً، وحار الورثة في أمر المكتبة، ثم رأوا أن يقدموها هدية إلى المكتبة الوطنية، وعندما بدؤوا بجرد العناوين تبين لهم أن الكتب كلها مستعارة من المكتبة الوطنية نفسها.

*

استعرت كتاباً من مكتبة عامة، وإذا حواشيه وهوامشه مملوءة بتعليقات وتهميشات وتعليقات على

التعليقات وتهميشات على التهميشات، لقراء كثر، شغفتني التعليقات والتهميشات والردود، قرأتها كلها، ثم أعدت الكتاب إلى المكتبة من غير أن أقرأه .

*

على الرصيف بين الكتب القديمة رأيت أحد كتبي معروضاً للبيع، سررت، وقلت: أصبح كتابي يتداول ويباع من جيل إلى جيل، ودفعني الفضول، فحملته، وفتحت الغلاف وإذا على الصفحة الأولى منه إهدائي الكتاب إلى أحد الأصحاب وتوقيعي.

*

صديق من هواة جمع الكتب، قال لي:

. لدي نسخة نادرة من كتاب عباس العقاد عن الكاتب الألماني العظيم غوتة لم يطلع عليها أحد حتى الآن صغيرة الحجم أنيقة جدا، مزينة بالصور الوثائقية.

. من أين حصلت عليها ؟

تردد، ثم أضاف:

. تعرفني لا أترك محلاً لبيع الكتب إلا زرته في الأسبوع مرة أو مرتين، ولا سمعت بمعرض للكتاب إلا قصدته، وما سمعت بمكتبة قديمة معروضة للبيع إلا أسرعت إلى التقاط النادر.

وأسأله:

ـ ألا تذكر أنك استعرت ذلك الكتاب من مكتبتي قبل ثلاثة أعوام.

*

زرت قريباً لي اشترى داراً، فأخذ يطوف بي الغرف ويطلعني على الفرش والأثاث الجديد، وهو يحدثني عما أنفق وصرف، وفي غرفة الجلوس حدثني عن خزانة خشبية فاخرة أودع فيها التلفاز وبعض أواني الزهر، ثم قال لي:

ـ هناك بعض الرفوف الفارغة، سأضع فيها بعض الكتب، لذلك سأعتمد عليك، أرجو أن تشتري لي بعض الكتب، لا يهمني موضوعها، يكفي أن تكون سميكة ومذهبة ومن لون واحد ومقاس واحد، ليس من الضروري أن تكون غالية، المهم أن تكون مذهبة، سأضعها هنا للزينة.

وصمت هنيهة، ثم أضاف:

. ما رأيك أن تبيعني بعض الكتب القديمة من مكتبتك، أو الكتب التي قرأتها ولم تعد بحاجة إليها.

*

رجع أحد أصدقائي المدرسين من بلد الإعارة، فسألته عما أحضر معه من كتب، فقال:

. في المطار، فوجئت بأن معي وزناً زائداً، وأن علي أن أدفع خمسين دولاراً، ففكرت، وكنت قد وضعت الكتب كلها في حقيبة واحدة، فتركتها في أرض المطار.

*

في دار المعارف بالقاهرة، وأنا أطوف بين رفوف الكتب، التفتُّ إلى زوجتي، وقلت لها:

. أحلم برؤية كتاب لي على أحد هذه الرفوف.

علقت:

. وما الفائدة؟ كتاب بين مليون كتاب.

*

. أبي، أرجو أن تعطيني مئة ليرة.

. ولماذا يا ولدي؟

. المعلم طلب منا شراء كتاب وتلخيصه.

ـ قل لمعلمك نحن لا نبخل لا بالمئة ولا بالألف، أمس كلفنا الطبق الفضائي عشرة آلاف ليرة، كل المحطات الفضائية أصبحت تحت تصرفنا، وفيها كل يوم ألف برنامج ثقافي، وأنا لا أبخل عليك، خذ مئتين إذا أردت، ولكن يبدو أن معلمك متخلف، لا يعيش في عصر الذرة والفضاء.

*

أعثر، وأنا أرتب المكتبة، على كتاب يدهشني، لقد استعرته من أحد الأصدقاء قبل عشرة أعوام، أو أكثر.

لن أبوح باسم الصديق، بالطبع، ولا عنوان الكتاب، ومن المؤسف أنني لم أقرأه حتى الآن، ولا أظن أنني سأقرؤه في وقت قريب، لأن لدي مشروعات كثيرة، لذلك سأظل أحتفظ به أمانة عندي، ولن أرده، إلا بعد

قراءتـه، ولكـن لا أعـرف إن كنـت سـأجد فعـلاً الوقـت لقراءته.

المعطف الضائع

قُرِعَ جرسُ المدرسةِ معلناً نهايةَ الحصةِ الأخيرة. حمل طـلابُ الصـفِّ الخـامسِ حقـائبَهم، وأسـرعَ معظمُهـم إلى معـاطفِهم، يرتـدونها وينطلقـون مغـادرين المدرسـة. وقـف خالد أمـام مِشْـجَبِ المعـاطف، طـارت كـلُّ المعـاطف، لم يبقَ أيُّ معطف، أين معطفُه؟ أسرع إلى المدير يخبره عن معطفه الضـائع، هـل سرقَهُ أحـدٌ؟ لا يُعْقَـل؟ هـل ارتـدى أحـدُ الطـلاب معطفـين أحـدَهما فـوقَ الآخـر؟ أمـرٌ غـيرُ معقول؟

قال له المدير:

ـ لعـل أحـدَ زملائِـك لبسَـه بـدلاً منـك سـهواً، ولابدَّ أن يعيدَه إليك غداً، اطمئِنْ.

سار خالدٌ إلى البيت وهو يفكر في المعطف.

صديقه خليل جاءَ اليومَ من غيرِ معطف، فالجوُّ دافئ، هل سبقَه إليه ولبسَهُ ممازحاً؟ لا بد أن يكون هو، فليس من عادته أن يسبقه إلى الانصراف، كل يوم ينتظره، ليرجعا في الطريق إلى البيت معاً.

ويصل خالد إلى البيت، تبادر أمُّه إلى سؤالِه:

ـ ما بالُك يا خالد، وجهُك غير طبيعي، ماذا حصل؟ يرد، وهو يتلعثم:

. سامحيني يا أمي، لعلي أضعتُ اليومَ معطفي، أو لعله سُرِقَ منّي، لا أعرف.

تضحك الأم، تضحك عالياً، ثم تقول له:

ـ هل نسيتَ يا خالد؟ قلتُ لك في الصباح البَسْ مِعطَفَك، فقلتَ لي: لن ألبسَه، فالجوُّ اليومَ دافئ.

ثم أشارت إلى خزانته وقالت:

. انظر، معطفك معلق هناك في خزانتك.

المدير مرة أخـــــرى

اللغـط والضـجيج والصـخب وسـحائب الـدخان وفرقعة النرد وما قد يتخلله من سباب وشتائم أو أيمان مغلظة هي الإيقاعات المحببة مساء يوم الجمعة، نحس بالفراغ، نشتاق إلى صخب المعمل وضجيجه، يشتاق بعضنا إلى بعضنا الآخر، مع أننا لا نكاد نبلغ نهاية الأسبوع حتى نضجر ونمل، ونود لو جاء يوم العطلة، وها هو ذا يجيء، وسرعان ما نلجأ إلى مقهى العمال ليلتقي فيه بعضنا ببعض.

هنا لا ندفع سوى خمس ليرات، سواء للقهوة أو الشاي أو الزهورات أو الكازوز، حتى النارجيلة طالبنا أن تكون بخمس ليرات، ثم رضينا أن تكون بعشرين، ونحن هنا نأتي متى نشاء ونخرج متى نشاء، لا عمل ولا مدير ولا رئيس وردية ولا مراقب فني.

صوت النادل عبدو وحده المميز في ذلك الإيقاع، وهو ينادي: نارة، واحد زهورات، ثلاثة شاي سكر وسط، أربعة قهوة سادة. صوته هو الذي يضبط الإيقاع، يعلو فوقه، يضيع وسطه، يندغم فيه، نحس له ببهجة لا نعرف سرها، أحياناً يتسرب إلى الإيقاع صوت بائع الصحف أو الجوارب أو أوراق النصيب، أو صوت متسولة عجوز.

هنا ننسى كل شيء، البيت والزوجة والأولاد، هنا نجد أنفسنا، هنا ننسى أنفسنا.

ألتفت أرى صورتنا أنا وأصحابي منعكسة على الزجاج وقد غطاه غبش الأنفاس، أرى المقهى كله، أرى سحائب الدخان، وفي الخارج يسقط المطر رذاذاً، وأناس على الرصيف يروحون ويجيئون، وعلى الطرف الآخر مكتب المراسلات، آلاف الطرود والرسائل تروح وتجيء كل يوم، هذا يرسل إلى ذاك وذاك يرسل إلى هذا، حركة دائبة تدور.

طوال حياتي لم أرسل طرداً إلى أحد، طوال حياتي لم يرسل إليَ أحد أي طرد.

أنظر في وجوه أصحابي، ألتفت إلى عبدو النادل وهو يحمل كؤوس الشاي، تمتد عيناي إلى طاولة صاحب المقهى، هو متعهد المقهى، وليس صاحبه، ولكنه يقعد وراء مكتبه كالأمير، نارجيلة كالعروس تنتصب إلى جواره، مذهبة، مزينة، الجمرات في رأسها تتقد، وراءه حوض أسماك، وناعورة صغيرة في داخلها

تدور، أسماك حمراء وسوداء، أسماك كبيرة وصغيرة، والماء يبدو كالعكر، أحس بمزاجي قد تعكر، لا أعرف لماذا؟.

ويفتح الباب ويدخل.

عجوز متهدم، ناحل جداً، شاحب جداً، يتأبط جريدة، محنيَّ الظهر جداً، يكاد يتقوس، كأنه خارج من قبر، حقيقة هو خارج من قبر، فقد سمعنا منذ عام أنه مات، كم هو دميم؟ يا إلهي، كيف صار إلى هذه الحالة؟ يرمي فضاء المقهى بنظرة فيها شيء من اشمئزاز قديم، يتريث قليلاً أمام الباب، ثم يدخل واهن العزم، كليل الخطا، يميل كأنه يعرج على يسراه، على الفور يتجه نحونا، لماذا اختارنا نحن بالذات؟.

نظرت إلى هشام، لا شك أنه سيطرده، لن يسمح له بالجلوس إلى مائدتنا، أكرم سينهض على الفور، سيغادر المقهى، ميشيل سوف يطلب منه الجلوس إلى طاولة أخرى، محمود سيوليه ظهره إذا ما قعد إلى جواره، وقد يلكزه بكتفه ليقع على الأرض، أنا سأنفث دخان سيكارتي تجاهه ليختنق، سنتفق جميعاً ونطلب من النقابة عدم السماح له بارتياد مقهى العمال، ما الذي جاء به إلى مقهانا؟

قلت لهم مستنكراً ومحرِّضاً:

. هذا مقهى العمال، وليس مقهى المدير العام.

وجاءتني الأصوات تهدِّئني وتقنعني:

. هو الآن مجرد إنسان، وليس المدير العام.

. لا نستطيع منعه، هو في الأصل عامل ويحمل بطاقة العضوية، ومن حقه ارتياد مقهى العمال.

ـ لا يمكن أن نطلب منه القعود وحده إلى طاولة.

ـ حقيقة هو آذانا جميعاً، يوم كان المدير، ولكنه اليوم إنسان.

. عفا الله عما مضى.

. المسامح كريم.

. هو اليوم بحاجة إلينا.

. يجب أن نرحم شيخوخته.

ونهضنا جميعاً، رحبنا به، حييناه، أفردنا له مكاناً بيننا، خصصناه بموقع مميز، أطفأنا جميعاً سجائرنا، نعرفه لا يحب التدخين، قدمنا له كأس زهورات، تبارى كل واحد منا في دفع الثمن، ولكن متعهد المقهى تقدم منا، رحب به، ثم قال:

. مشروب هذه الطاولة كله هذه الليلة ضيافة مني، على شرف المدير، حلت علينا البركة بحضوره، أهلاً وسهلاً به، وبكم، كل يوم جمعة ستكون هذه الطاولة محجوزة له، ولمن يحب.

يخيم الصمت، أرفع كأس الشاي، أرى خلال الشاي الكثيف المدير العام، أرى الصحب، أرى المقهى كله، كأنه حوض أسماك، آخذ رشفة، أبتلعها، أكاد أختنق، أسعل، أقحّ، ويتطاير الشاي من فمي رذاذاً.

ويتكلم المدير العام بصوته الهادئ كأنه خارج من قبر:

ـ إذا تكررت هذه الغصة فهي دليل مرض في القلب، عليك مراجعة طبيب مختص، ولا بد من التصوير والتخطيط والتحليل، الحق نفسك اليوم قبل الغد، ابن أخي شاب عمره أقل من ثلاثين سنة، كان يغص دائماً، أخي أمي وجاهل، ما تدارك ابنه، فجأة مات، أن أجري الفحوص والتحليل وصور الأشعة كل ثلاثة أشهر، أنا..

ويقترب منا غلام رث الثياب يمد إلينا يده بأوراق النصيب، لا أعرف لماذا يبدأ بي، أنهره، أكاد أضربه، لا أعرف لماذا، يتسلل إليَّ صوت المدير العام هادئاً:

ـ اشتر منه ورقة نصيب، جرب حظك، لعلها تكون مع قدومي الرابحة؟

أنظر إلى وجهه، يبتسم لي، أسنانه بيضاء جداً، منضدة بأناقة، هي أسنان صناعية من غير شك، يبتسم، كأن جمجمة في هيكل عظمي تبتسم لي، أقول له:

ـ نحن العمال لا نقامر على حظنا، نحن نصنع حظنا بأنفسنا.

يبتسم أيضاً، يتمتم من بين أسنانه البيضاء المنضدة بأناقة، يقول شيئاً، ولكن لا أعرف ماذا يقول.

وأنظر بطرف عيني إلى ميشيل، وهو أكبرنا سناً، ثم أشير له برأسي، أدعوه إلى النهوض، لننهي سهرتنا،

يتنبَّه إلى حركتي المدير العام، فينطق بهدوء والكلمات تخرج من بين أسنانه كأنه يقرر أمراً لا رجعة فيه:

. لا يمكن لأحد أن ينهض إلا إذا نهضت أنا، أنتم في ضيافتي، ولا أسمح لأحد بالانصراف قبلي، هذا هو القانون الذي سنسير عليه، كما قلت لكم: كل يوم جمعة سنلتقي هنا الساعة السابعة، لن يتخلف أحد، ولن يتأخر أحد.

السفر وحدي

فور دخولي إلى البيت تقول لي زوجتي:

. جاءك هاتف من العاصمة يدعوك إلى اجتماع طارئ يوم غد.

أخلع معطفي وأنا أعلق بتذمر:

. مللت من السفر، لا بد من سفرة أو سفرتين في الأسبوع، وأصعب ما في الأمر هو سفري وحدي، أتمنى صديقاً يؤنسني في السفر، الطريق حفظته خطوة خطوة، ما من منعطف أو تقاطع إلا حفظته، ليت لي رفيقاً في السفر، وكما يقول المثل الرفيق قبل الطريق، صدقيني الأمر....

وتقاطعني زوجتي لتقول:

ـ واتصل بك صديقك هشام، طلب مني أم أخبرك أنه حجز لك تذكرة، لتسافرا غداً في الصباح معاً.

أمام المغسلة أقف لأغسل يدي، أنظر إلى وجهي في المرآة وأنا أغمغم:

ـ لا أحس بمتعة السفر إذا كان معي صديق، أتمنى أن أسافر وحدي، لأحس بحقيقة السفر

ومتعته، وحدي أحس بالغربة، لا أريد من يؤنسني، وحدي أخلو إلى ذاتي وأصفو، لا أحد يحدثني ولا أحدث أحداً، كم من الممتع أن يسافر المرء وحده.

هــو .....والشـمس

في الشرفة البحرية يقعد، يدخن.
الشـمس تنطفـئ في البحـر، وهـو يطفـئ سـيكارته الثانية بعد الألف في فنجانه الذي لا يعرف له رقماً.
كم يتمنى لو تنطفئ الشمس إلى الأبد.

شاهدة حجـــرية

الشـمس متألقـة، والجـو مشـرق متـألق، وسـكون المقـبرة الهـادئ لا يقطعـه سـوى صـوت الرجـال هنـاك يقرؤون سورة يس بأصوات خشنة جافة، وهـم يدفنون جـدي، وأنـا هنـا أعتلى قـبراً حجريـاً، قريبـاً مـن النسـوة اللواتي تلفعن بالسواد، حيث أوصتني أمي ألا اقترب من القبر، لا أعرف لماذا؟

وألمح ابنة خالتي رجاء تقف غير بعيد مني فوق قبر له ثلاث مصطبات، أركض نحوها، وهي فوق المصطبة الثالثة أحس أن ثوبها أقصر مما هو عليه، أرقى إليها، أقف قبالتها، بيني وبينها شاهدة حجرية انعكست عليها الشمس فتألقت كالذهب.

. هل أنت حزين لموت جدك؟

. أمي قالت لي لا تحزن، فقد استراح جدك من العلل التي ركبته طوال عشر سنين، وأنت؟

. أنا أمي تبكي أكثر من أمك، أنا لا أنسى يد جدي وهو يعطيني قطع الحلوى، كنت أشم في يده شذى عطر مختلف، جدي كان يصلي دائما، وهو في فراش المرض، لن أرى جدي بعد اليوم.

وتنهمر من عينيها دمعتان.

. لا تحزني.

وأمسح دموعها بيدي، أمسك يدها.

وتهب نسمات ناعمة، تنفحني شذاها، أدنو منها، أحس في نفسي رغبة في ضمها إلي وتقبيلها، ولكن يصل إليَّ صوت الرجال من بعيد وهم يقرؤون سورة يس، وألتفت إلى النسوة المتشحات بالسواد، فأرى أمي من بعيد وهي تمسح دموعها، فأدرك أنه من غير المناسب أن أقبلها الآن.

ولكن لا أعرف لماذا الشمس متألقة، والسماء صافية، والجو ممتع، لا شك أن الله راض عن جدي.

في عاصمة كبيرة

في عاصمة كبيرة تعج بالباعة والسماسرة والتجار والمرابين والساسة والقادة والقواد والعاهرات والسائحين والمهربين والخدم واللصوص والسارقين رأيت طفلاً فوق سطح عمارة يرسل إلى أجواز السماء في النور والشمس والهواء طائرة ورقية.

معجـــزة أخرى

وأخيراً حدثت المعجزة.

تساقط على الكون غبار ذري، فتعطلت أجهزة الاتصال والصواريخ والدبابات والطائرات وما عاد لأشعة الليزر وجود وبطلت كل آلات الحرب.

فرح العرب وقالوا نحن أصحاب السيف، سنعود إلى السيف.

وعلا النداء، حي على الجهاد، وتدافعت حشود الفقراء والطيبين والشرفاء والبسطاء في الشوارع والطرقات واتجهوا إلى قصور أولي الأمر.

قال الحاجب:

ـ أنا لا يمكنني الذهاب معكم، لأنني هنا أحمي القصر، وليس عندي سوى هذا السيف الذي أحمله بيدي، ولا يمكن أن أعطيكم إياه.

قال السلطان:

. أنا سيفي مذهب، أهداني إياه ملك العجم لا يمكن أن أتخلى عنه، وبعد ذلك لا يعقل أن تحاربوا أصدقاء العجم بسيوفهم.

قال الوالي:

. أنا سيفي مطعم بالجواهر، كتبت عليه اسمي، أخشى تلويثه بدم الأعداء، كما أخاف على الجواهر من السقوط.

قال الأمير:

ـ سيفي معلق على الجدار منذ ألف عام، ولا أظنه يصلح للقتال.

قال نائب الأمير:

ـ سيفي هذا رقصت به في حفل زفافي، لا يمكن أن أعطيكم إياه، فهو يحمل ذكرى غالية.

قال نائب آخر:

. سيفي هذا قطعت به قالب الحلوى في عيد ميلادي، فهو للذكرى، ولا يمكنني أن أعطيكم إياه.

وقال وقال وقال...

لم يبق إلا المتحف، واندفعت الحشود،قال المدير:

. السيوف هنا هي تراث الأجداد وهي كنز، لا يجوز أن نفرط بها.

وبين عشية وضحاها تحولت معامل الصلب والطائرات والدبابات في الغرب إلى صناعة السيوف والدروع.

وما زال العرب ينتظرون معجزة أخرى

الكلمات الأخيرة

اشترى الجريدة، مشى بها إلى الحديقة، قعد في شمس الخريف يستدفئ، البركة أمامه جافة لا ماء فيها، العشب أصفر، عجائز من حوله يتناثرون على المقاعد، رمقهم بهدوء، ثم فتح الجريدة، وفي صفحة الموتى أخذ يقرأ: " **اغتالته يد القدر، اختطفته المنون، مات قبل الأوان، لم يعش عمره، لم يبلغ الأربعين، لم يستوف أيامه، الموت أخذه على حين غرة، غدر به الزمان فاغتاله من بين أحبابه، لم يمهله القدر الأعمى فسلبه عمره، يد الموت طوت صفحته قبل أن يتم قراءتها، ريح الموت أسقطت أزهاره وهي على وشك الإثمار** ".

التفت إلى عجوز بجواره، طلب منه قلمه، وبه خط على الجريدة: " **عاش عمره، مات في أوانه، لم يغدر به الزمن، ولم تخطفه يد المنون، حان حينه، مثل أي كائن، وفي الوقت المحتوم، من غير استباق ولا تأخير، ووفق القدر الصحيح والعادل، أسلم بالرضا الروح** ".

كتب اسمه تحت الأسطر، ومد يده إلى جاره يعيد القلم، فسقط من يده.

ما يزال يطيـــــــر

يناديه، ينثال في روحه شلال نور، يأتيه من آفاق بعيدة، يلتفت، يرى الشجرة الباسقة، ظلها يمتد، يد أم حانية، يرفع وجهه إلى الخضرة المتألقة، يراه بين الغصون، يتألق كالشمس، ينثر الشذى، يرسل النغمات متفردة، تصدح لها الأكوان، يتجه إليه بقلبه وعينيه، يهمس له، يقرر أن يبلغه، يهم بالصعود إلى الشجرة، فيطير، يسري أمامه في المدى، يسير في ظله، ينجذب إلى جناحيه، تسرق الألوان منه حناياه، يرتعش، لا بد أن يحلق إليه، يفرد يديه، ويعدو، مندفعاً، أشواك في الطريق تثقب قدميه، يزرع في الأرض قطرات دمه، حجارة صغيرة تعض أصابعه وهو يعدو، يبرز له في الدغل المعتم كائن له عينان، يضع بين يديه بندقية، يعلمه التسديد، يحشو فمه بالدراهم، يضخ في شرايينه طعم اللحم والريش، يقول له: الآن تبلغ مناك، ويجري في إثره، ينزل في بحيرات الضياع، تحاول التماسيح التهامه، العصفور يدنو منه، يمد فوقه ظل جناحيه، يشدو له، غناؤه شراع يحمله، يلقي بالسلاح والدراهم يغتسل بالضوء، يمشي على وجه الماء، ويمضي في ظل الغناء، يتعلم منه النشيد،

يشدو معه، يتحد النغم بالنغم، يعشق لأجله السهول والجبال، الغابات والقمم الجرداء، كأنه يرفعه إليه، هو مجرد عصفور صغير، أصبح روحه، هو شدوه، هو موسيقاه، لا غنى له عنه، هل يمسك به؟ لا يعرف: هل يريد الإمساك به؟ هو مجذوب إليه، لا يعرف لماذا يجري في إثره، هو لأجله يسري يطير تلتهمه الأشواك تعضه الحجارة، لا يدري بها، لا يحس شيئاً، حسبه أنه يجري وراءه، أصبح جزءاً منه، اتحد به، يطلان فجأة على جرف، وسرعان ما يرتدان معاً، تسحرهما موسيقا النجاة، يتحد كل منهما بالآخر، أنت تحلق في الأعالي، أنت تحملني معك، وتدوي رصاصة، تثقب الصدر، يسقط على المرج الأخضر، تمتد إليه يده، يطير إليه، يمسكه، هو يدخل في يده، يدخل الفؤاد، أنامله تنحل في الجناحين، تنسكب موسيقاه في الريش.

وفي النور والموسيقا، في فضاء بعيد بعيد ما يزال يطير.

المؤلف
الدكتور أحمد زياد محبّك

- من مواليد مدينة حلب عام ١٩٤٩.
- تخرّج في قسم اللغة العربية بجامعة حلب عام ١٩٧٢.
- حاز دبلوم الدراسات العليا من جامعة دمشق عام ١٩٧٣ .
- عمل مدرساً في وزارة التربية من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٧٧.
- نال الماجستير في الأدب العربي الحديث من جامعة حلب عام ١٩٨١.
- حاز الدكتوراه في الأدب العربي الحديث من جامعة دمشق عام ١٩٨٤.
- عين مدرساً لمادة الأدب العربي الحديث بجامعة حلب عام ١٩٨٤.
- عضو اتحاد الكتاب العرب بدمشق منذ عام ١٩٨٣ .
- عضو هيئة تحرير جريدة الأسبوع الأدبي من عام ١٩٩٧إلى عام ٢٠٠٠ .
- عضو نادي التمثيل العربي منذ عام ١٩٨٨ .
- عضو جمعية العاديات بحلب منذ عام ١٩٩٨.
- عضو اتحاد الصحفيين منذ عام ١٩٩٩ .
- عمل أستاذاً معاراً إلى جامعة سبها في القطر الليبي من عام ١٩٩٠ إلى عام١٩٩٤ .
- حاز جائزة المركزالاستشاري لتعليم اللغة اليابانية في حلب عن القصة القصيرة عام١٩٩٥

- حاز جائزة البتاني في الرقة عن القصة القصيرة عام ١٩٩٧.
- حاز جائزة جريدة الثورة بدمشق عن القصة القصيرة عام ١٩٩٨.
- حاز جائزة الباسل للإبداع الفكري بمدينة حلب عام ١٩٩٨.
- رئيس قسم اللغة العربية من عام ١٩٩٨ إلى عام ٢٠٠٠ .
- أمين سر اتحاد الكتاب العرب – فرع حلب منذ عام ٢٠٠١ .
- كرمته جمعية النقد الأدبي في اتحاد الكتاب العرب بدمشق بالتعاون مع فرع اتحاد الكتاب العرب في حلب عام ٢٠٠١.
- أوفد إلى جامعة عين شمس بالقاهرة بمهمة البحث العلمي لمدة أربعة أشهر عام ٢٠٠٢.
- أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة حلب.

المؤلفات المنشورة
للدكتور أحمد زياد محبّك

- **حركة التأليف المسرحي في سورية**، (دراسة) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٢، ٤٣٠ صفحة، قطع كبير
- **من الحكايات الشعبية**، (مجموعة حكايات شعبية) وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٣، ١٩٤ صفحة، قطع وسط.
- **يوم لرجل واحد**، (مجموعة قصص قصيرة) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٦ ، ٢٠٠ صفحة، قطع وسط
- **المسرحية التاريخية في المسرح العربي المعاصر**، (دراسة) دار طلاس، دمشق، ١٩٨٩، ٣٧٤ صفحة، قطع كبير
- **حجارة أرضنا** ، (مجموعة قصص قصيرة) مطبعة عكرمة، دمشق، ١٩٨٩، ١٠٩ صفحات، قطع صغير
- **الكوبرا تصنع العسل**، (رواية) دار القلم العربي، حلب، ١٩٩٦، ١٤٥ صفحة، قطع كبير
- **بدر الزمان**، (مسرحية) دار القلم العربي، حلب، ١٩٩٦، ١٠٤ صفحات، قطع كبير
- **حلم الأجفان المطبقة**، (مجموعة قصص) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٦، ٣٣٥ صفحة، قطع وسط
- **عريشة الياسمين**، (مجموعة قصص) دار القلم العربي، حلب، ١٩٩٦، ٢٥٦ صفحة، قطع وسط
- **دراسات في المسرحية العربية**، (دراسة) مطبوعات جامعة حلب، حلب، ١٩٩٧، ١٨٥ صفحة، قطع كبير

- **حكايات شعبية** (نصوص ودراسة) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩ ، ٧٧٠ صفحة، قطع وسط
- **دروب الشعر العربي الحديث** (دراسة) مطبوعات جامعة حلب، حلب ٢٠٠٠ ، ٢٤٠ صفحة، قطع كبير.
- **لأنكِ معي** (مجموعة قصص قصيرة جداً) دار شمأل، دمشق، ٢٠٠٠ ، ١٨٠ صفحة، قطع صغير.
- **طعم العصافير** (مجموعة قصص قصيرة) دار القلم العربي، حلب، ٢٠٠١، ١١٢ صفحة، قطع وسط.
- **قصائد مقارنة** (دراسة ونصوص) مطبوعات جامعة حلب، حلب،٢٠٠١، ١٢٥ صفحة، قطع كبير.

_دراسات نقدية من الأسطورة إلى القصة القصيرة (دراسة) منشورات دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠١، ٣٠٠ صفحة، قطع كبير.

_العودة إلى البحر(مجموعة قصص قصيرة) اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠١، ١٥٣صفحة، قطع وسط.

_الرحيل من أجل مها(مجموعة قصص قصيرة) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣، ٢٤٧صفحة، قطع وسط.

- **انكسارات**، (مجموعة مقالات) دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤، ٤٤٠ صفحة، قطع كبير.

_ الدكتور أحمد زياد محبك، كتاب التكريم، مجموعة من المؤلفين، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤ ، ٢١٦ صفحة، قطع كبير.

- **عمر أبو ريشة والفنون الجميلة** (دراسة مقارنة) وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٤، ١٨٠ صفحة، قطع كبير.

_ **وردات في الليل الأخير**، (مجموعة قصص)، دار المعرفة، بيروت،٢٠٠٥ ، ٢٣٦ صفحة، قطع وسط.
_ **متعة الرواية**، (دراسة)، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥، ٣٤٨ صفحة، قطع وسط.
_ **من التراث الشعبي**، دراسة، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥، ٢٧٦ صفحة، قطع وسط.

عنوان المراسلة :
البريد العادي : كلية الآداب جامعة حلب حلب سورية
البريد الإلكتروني : mohabek@gmail.com هاتف المنزل : 00963212642132
الهاتف الجوال : ٠٠٩٦٣٩٤٤٩٢٨٧٩٢

المحتوى

هوميروس هذا العصر	٥
أنا والتفاحة	٧
هدية صاحب المقصف	١٠
الدخول إلى القصيدة	١١
الداخل والخارج	١٣
كيف سنلتقي؟	١٥
كأس حليب مثلج	١٧
كلمة واحدة	١٩
اللقاء الأخير	٢١
الصمت أمام البحر	٢٣
رحيل آخر	٢٥
قارئة	٢٦
غصن ناحل	٢٧
يعرف كل شيء	٢٨
قد يرن جرس الهاتف	٣٠
على الرمال	٣١
موسيقا	٣٢

صديق عزيز	٣٣
لست أنا	٣٥
الكلام نفسه	٣٦
وتنطلق الحافلة	٣٧
جلد رقيق ناعم	٣٩
المعطف	٤٢
في الفندق	٤٣
كبر الأولاد	٤٤
في المكتبة	٤٥
هي أم أختها؟	٤٦
عصفوران صغيران	٤٧
هدية	٤٨
يجوز الوجهان	٤٩
متعة خاصة	٥١
أبراج	٥٢
البقال والمدير	٥٤
الفندق الجديد	٥٦
إلى الأبد	٥٧
حروب قذرة	٥٨
الحلقة التالية	٥٩
نار متقدة	٦٠
مكافأة	٦١
سور جديد	٦٢
البحث عن المكتبة	٦٤

في الاتجاه الآخر	٦٥
رئيس الدائرة	٦٧
المطعم المزدحم	٦٨
قطعة صابون	٦٩
اهتمام خاص	٧٠
شموع معطرة	٧٥
أمنية طبيب	٧٧
المبنى	٧٨
امتحان	٨١
المفتاح	٨٣
خصام	٨٤
حب بالتفاهم	٨٥
أبواب المستقبل	٨٧
الكلب الأسود	٨٨
العصر	٩٠
أقصى السرور	٩١
منظار مقرب	٩٢
مستعدة	٩٣
وحدك	٩٧
ولائم	٩٩
رسالة	١٠٠
مئات الردود	١٠١
الكتاب	١٠٥
المعطف الضائع	١٠٧

المدير مرة أخرى ١١٣
السفر وحدي ١١٥
هو والشمس ١١٦
شاهدة حجرية ١١٨
في عاصمة كبيرة ١١٩
معجزة أخرى ١٢١
الكلمات الأخيرة ١٢٢
ما يزال يطير ١٢٤
المؤلف ١٢٩
المحتوى

هذا الكتاب

هذه هي المجموعة القصصية العاشرة للدكتور أحمد زياد محبك وفيها يتابع مسيرته القصصية عازماً على التجديد، وفيها يقدم شكلاً قصصياً جديداً ما يزال خاضعاً لكثير من الجدل، إذ يخصصها للقصص القصيرة جداً.

ويجنح في هذه المجموعة إلى تمجيد الفن والجمال والحرية وغناء المشاعر والعواطف والأهواء، بخلاف مجموعاته السابقة التي كانت عنايته فيها بالأطفال والبائسين والمظلومين أكثر وضوحاً، وإن كان لم يبتعد في هذه المجموعة كثيراً عن تلك الأجواء، ولعل حرصه على الفن والتجديد في هذه المجموعة هو الغالب.

وسيقفز القارئ بين صفحات المجموعة يدفعه الشوق إلى المتابعة لما في القصص من قصر ومتعة وإدهاش.